الفصل التاسع

هجرة السكان وتنقلاتهم

يعتبر الإنسان أوسع الكائنات الحية انتشاراً ، فالنوع البشرى على مر التاريخ لم يثبت فى بيئة واحدة ولم يستقر فى مكان واحد ، ونراه إذا ما انتقل إلى بيئة ما ، فإنه يلجأ إلى الانسجام أحياناً مع مقتضيات هذه البيئة ، أو أنه يعمل على التغيير والتبديل فى هذه البيئة حتى تلائم حاجاته ومطالبه .

وهكذا استوطن الجنس البشرى كل أطراف المعمورة ، فهو شغوف منذ حياته الأولى ، بالتنقل والحركة وكثرة التجول . غير أن هذا الإنسان لا نراه ينتشر فى كل بقاع الأرض بدرجة واحدة ، بل إنه حينما يستطيع أن يوفر لنفسه الرزق الوفير ، والخير الكثير ، يتكاثر ويتكاثف عدده ، ومن هنا كان توزيع الإنسان على بقاع الأرض توزيعاً غير منتظم .

وانتقالات السكان على نوعين :

١ — انتقالات داخل حدود الدولة الواحدة ويطلق عليها الهجرة الداخلية

٢ — انتقالات من دولة إلى أخرى وتعرف بالهجرة الخارجية ، والهجرة سواء كانت داخلية أم خارجية فإن الباعث عليها هو رغبة الإنسان فى تحسين حالته .

(أولا) الهجرة الداخلية :

وهى الهجرة التى يقوم بها أفراد الوطن الواحد إلى الجهات التى تتوفر فيها أسباب الكسب والرزق ، وقد يكون ذلك لفقر بيئاتهم المحلية أو لاكتظاظها بالسكان وما يتبع ذلك من انخفاض الأجور أو تفشى البطالة . وكانت أوضح مظاهر الهجرة الداخلية فى العصر الحديث انتقال أعداد كبيرة من أهل الريف إلى المدن ، وكان ذلك على أثر الانقلاب

الصناعى وما تطلبه من وفرة الأيدى العاملة فى بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية كان سكان الريف حوالى ٨٧ ٪ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولكن حالما شهدت هذه البـــلاد بوادر الثورة الصناعية نقصت نســـبة سكان الريف الأمريكى إلى ٦٥ ٪ تقريباً فى أوائل القرن العشرين .

وفى انجلترا كان سكان الريف عام ١٨٥٠ حوالى ٤٩ ٪ ثم تناقص بعد ذلك بسرعة لم يسبق لها مثيل فى أى بلد آخر إذ أصبحت هذه النسبة ٢٨ ٪ فى عام ١٨٩٠ ، ٢١ ٪ فى عام ١٩١٠ ثم ٢٠ ٪ فى عام ١٩٣٠ ولا يزال سكان الريف فى تناقصهم المستمر نتيجة الهجرة إلى الحضر .

وفى فرنسا كان سكان الريف يبلغون ٧٥ ٪ من المجموع الكلى للسكان فى أواخر القرن التاسع عشر فنقص هذا العدد إلى النصف تقريبا فى مطلع القرن العشرين .

وقد لوحظ هذه الظاهر بصفة عامة فى كل البلاد التى شملتها الثورة الصناعية مثل ألمانيا وإيطاليا وروسيا [1] .

أسباب الهجرة من الريف إلى المدن :

١ — انهيار النظـام الاقطاعى وتحرر الفلاحين من رق الأرض . فتوفرت لهم الحرية فى الانتقال والإقامة حيثما يريدون ، وكانت انجلترا وألمانيا من أسبق الأمم التى شهدت انهيار النظام الاقطاعى ، وكان تحرر الفلاحين فى الدولتين من الأسباب التى ساهمت فى الهجرة من الريف إلى المدن .

٢ — أدى سوء توزيع الملكية الزراعية فى بلاد أخرى كفرنسا

---

[1] راجع : S. V. Pearson The Growth and Distribution of Population. (London) .

وأسبانيا ودول وسط أوربا إلى هجرة أهل الريف إلى المدن سعيا وراء رزق أوسع ، ومستوى مادى أعلى .

٣ — الثورة الصناعية وما كانت تتطلبه من أيدى عاملة كثيرة أدى إلى جذب سكان الريف وتركزهم حول المناطق الصناعية ، وقد اشتدت الهجرة إلى المناطق الصناعية ، خصوصاً بعد صدور تشريعات عمالية أدت إلى تحسين حال عمال الصناعة والتجارة فى المدن ، وقضت على المساوىء التى صاحبت العهود الأولى للثورة الصناعية فى أوربا .

٤ — قيام الحكومات بتنظيم المدن وتنسيق الخدمات فيها والقيام بأعمال الرعاية الاجتماعية . وغنى عن الذكر أن استئثار المدن بهذه الخدمات جعلها هدفا لموجات متتالية من الهجرة الداخلية ولكثير من الجماعات النازحة من الريف رغبة فى التمتع بهذه الخدمات والمزايا .

٥ — اتخاذ المدن كمراكز إدارية وتجارية واجتماعية وثقافية فامتازت بنشاطها العمرانى ، ولذلك أصبحت مهبطاً لأصحاب الأعمال والمصالح ورجال التعليم والمهيمنين على الشئون العامة فى المجتمع .

٦ — ازدخار المدن بحياة الترف ومظاهر التمدين والتحضر ، ففيها دور السينما والمسرح ، وفيها المقاهى والأندية ودور التسلية والترفيه ، كما تتوفر فيها ضروب شتى من الملذات والمتع غير البريئة لمن يطلبها ، وفيها الحدائق والعمارات السكنية المريحة ووسائل المواصلات السريعة . . . الخ فلا عجب أن تصبح حياة المدينة مطلباً لكل إنسان يؤثر حياة الترف .

٧ — أن التشريعات العمالية بما تؤدى إليه من تحسين حال المتمتعين بأحكامها كانت مقصورة فى أول الأمر على عمال الصناعة والتجارة ، دون العمال الزراعيين .

ولا شك أن هذا النوع من الهجرة يؤثر تأثيراً كبيرا فى الحياة الاقتصادية

والاجتماعية . فازدحام المدن بالسكان يثير كثيرا من المشكلات . كمشكلة السكن والصحة العامة والمواصلات . . الخ . كما يؤدى تركز العمال فى المدن إلى إيجاد بيئة صالحة لنشر الأفكار الثورية ، هذا إلى وجود فريق كبير منهم بدون عمل يصبح خطراً يهدد الأمن العام .

(ثانياً) الهجرة الخارجية :

وهى على ثلاثة أنواع :

١ — فصلية : وهى التى تحدث أثناء فصل معين من فصول السنة ، والعودة بعد انتهائه ، كهجرة العمال الزراعيين الإيطاليين إلى فرنسا فى فترة الحصاد وجمع الكروم ، ورجوعهم إلى بلادهم بعد انتهاء مواسم الحصاد .

٢ — وقتية : وهى التى لا تحدث فى فصل معين ولكن العامل ينتقل ويمكث فى الخارج سعياً وراء الرزق لمدة تطول أو تقصر ، بغية العودة إلى بلاده ثانية ومن أمثلتها هجرة الفلاتة فى السودان .

ولا يعتبر هذان النوعان من الهجرة ذات أهمية كبرى فى الناحية الديموجرافية السكانية وأنما الهجرة التى لها آثار إيجابية هى :

٣ — الهجرة الدائمة :

وفيها يقصد المهاجر إلى ترك وطنه الأصلى نهائيا والاستقرار فى الدولة المهاجر إليها . والهجرات الدائمة قديمة قدم التاريخ بل هى سابقة للعصور التاريخية ، وأكثر شعوب الأرض اليوم يرجع أصلها إلى هجرات قديمة أو هجرات فى العصور التاريخية الوسيطة والحديثة .

والهجرة الدائمة قد تكون فردية أو جماعية عضوية أو منظمة . فقد تكون الهجرات بمقتضى اتفاقات دولية ، كتبادل السكان بين تركيا

واليونان ، وإيطاليا وألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى . وهناك ما يعرف بالهجرات الجماعية مثل تلك التى تمت خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها فى أوربا الوسطى والشرقية واتخذت أحيانا شكل الاجلاء أو الطرد وخلقت فى العالم مشكلة اللاجئين .

ومن الهجرات الدولية تدفق الأوربيين على أمريكا واستراليا بعد اكتشاف الذهب فيهما . ويقدر عدد المهاجرين إلى أمريكا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى بخمسين مليونا .

ـ (ثالثا) الهجرة القسرية :

وهى الهجرة التى يجبر عليها الأفراد قسرا ، ومن أوضح الأمثلة على هذا النوع من الهجرة تلك التى تعرض لها اليهود خلال فترات التاريخ فمثلا قام الملوك « فيروز » و « قباب » و « انوشروان » فى القرنين الخامس والسادس باضطهاد اليهود ، وفى سنة ٥٨١ طردوا نهائيا من فارس ، ما عدا فئة قليلة منهم اعتنقت الإسلام :

وقد اضطر الملك « فيليب » إلى طرد اليهود من فرنسا بعد أن جمعوا ثروة الشعب الفرنسى فى أيديهم ، وقد تم طردهم نهائيا من فرنسا خلال عام ١٣٩٤ على يد الملك شارل .

ومن الأمثلة على الهجرات القسرية أيضا نفى المجرمين من بريطانيا إلى استراليا كما كانت فرنسا إلى أجل قريب تنفى مجرميها إلى « غينيا » ، وكذلك يدخل ضمن هذا النوع من الهجرة نفى الروسيين الأحرار إلى سيبيريا فى العهد القيصرى ، وكذلك نقل الزنوج عنوة من أفريقيا إلى أمريكا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للاستفادة منهم فى أعمال الزراعة والتعدين وخاصة فى الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية .

ويمكن أن يعتبر من الهجرات القسرية اضطرار الأفراد أو الجماعات إلى ترك موطنهم بسبب أحداث طبيعية قاهرة كالجفاف أو الطوفان أو تبدل المناخ .

وبين الهجرات القسرية والطوعية حالات تمت إلى النوعين معا . فهجرة الجزائريين إلى فرنسا مثلا يحملهم عليها تعذر سبل الرزق وانخفاض مستوى المعيشة فى بلادهم نتيجة لخطط الفرنسيين المستعمرين .

والسبب الأول لتبديل الموطن هو الرغبة فى الاثراء أو على الأقل الحصول على دخل أكبر مما كان فى الوطن الأصلى . إلا أن العامل الاقتصادى لا يعلل وحده جميع الهجرات التى شهدتها الإنسانية . فكثيراً ما يهاجر الأفراد أو الجماعات أو يطردون بسبب فقدان التلاؤم مع المحيط الاجتماعى سياسيا أو اتنولوجيا أو دينيا . فقد كانت العوامل الدينية هى التى اضطرت المسلمين الأوائل إلى ترك مكة إلى المدينة ، وإلى هجرة البروتستانت إلى أمريكا بعد حركة الإصلاح الدينى ، وإلى فرار المسلمين من الأندلس . وكانت العوامل السياسية والمذهبية هى الدافع فى ترك كثير من الروس البيض بلادهم بعد اعتناقها الشيوعية كما كانت هذه العوامل هى الدافع فى ترك الديمقراطيين الإسبان بلادهم والتجائهم إلى فرنسا بعد انتصار فرانكو (١٩٣٨ — ١٩٣٩) وقد تمتد العوامل الاتنولوجية والدينية معاً فتكون دافعاً قوياً للهجرة كطرد العرب واليهود من أسبانيا بعد ضعف الحكم العربى فيها ، وكذلك طرد الأرمن من تركيا بعد الحرب الأولى ، وإجلاء الألمان عن منطقة السوديت فى تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية .

ومع ذلك فإن العامل الاقتصادى يظل أقوى العوامل فى الهجرات وكثيرا ما دعت إليها حكومات البلاد المهاجر إليها وسهلت سبلها بمختلف وسائل الدعاية والتشجيع ، وخاصة فى أعقاب الحروب .

والملاحظ أن الهجرة تكون فى الغالب من البلاد الزراعية ذات الضغط الشديد بالسكان إلى بلاد أقل سكاناً وأغنى بالموارد الأوليه ، كهجرة الهنود إلى جنوب إفريقيا ، وهجرة السوريين واللبنانيين إلى الأمريكتين ، وكذا هجرة اليابانيين إلى منشوريا .

والبلاد الصناعية هى الأخرى وفى أحيان قليلة قد ترسل المهاجرين إلى بلاد أخف ازدحاماً بالسكان كما هو الحال فى انجلترا التى لم يتزايد عدد سكانها المقيمين على الجزر البريطانية منذ ربع قرن وذلك بسبب موجات الهجرة الدائمة الخارجة منها إلى استراليا وكندا ونيوزيلندا .

وأحيانا تفتقر أو تعانى البلاد الصناعية قلة فى الأيدى العاملة ، فتشجع الهجرة إليها ، وهذه الظاهرة واضحة كل الوضوح فى فرنسا التى تستقبل على الدوام أفواج المهاجرين من المغرب العربى ومن بولندا وبلجيكا وإيطاليا لتشغيلهم فى المناجم أو فى الأعمال الشاقة وخاصة تلك التى يحجم عنها الفرنسيون . وقد بلغ عدد الأجانب الذين وفدوا إلى فرنسا للإقامة فيها بصفة دائمة حوالى ثلاثة ملايين نسمة وكان ذلك فى سنة ١٩٣٨ .

ويورد العلامة P. George فى كتابه :

« Introduction à l'étude geographique de la population du monde, p. 272.

يورد الإحصائية التالية عن عدد الأجانب المهاجرين إلى فرنسا فى عام ١٩٣٨ :

الجنسية الاصلية	العدد
إيطاليون	٨٥٠,٠٠٠
إسبانيون	٦٥٠,٠٠٠
بولونيون	٥٠٠,٠٠٠
بلجيكيون	٢٠٠,٠٠٠
سويسريون	٨٠,٠٠٠
روسيون	٧٠,٠٠٠
ألمان	٧٠,٠٠٠
برتغاليون	٤٨,٠٠٠
تشيكوسلوفاك	٤٠,٠٠٠
بريطانيون	٤٠,٠٠٠
أتراك	٣٥,٠٠٠
أرمن	٢٩,٠٨٠
لكسمبورجيون	١٦,٠٠٠
هنغاريون	١٥,٠٠٠
زنوج إفريقيون مهاجرون متنوعون	٥٠,٠٠٠
جزائرون مراكشيون تونسيون	٥٠٠,٠٠٠
المجموع	٣,١٩٢,٠٠٠

وهكذا تصل نسبة الأجانب المتوطنين فى فرنسا إلى ٨ ٪ من مجموع السكان تقريبا .

وهناك مثال آخر يورده نفس المؤلف فى نفس المرجع ص ٢٧٤ عن بلد أبيد سكانه القدماء تقريبا ، وتكون سكانه الحاليون نتيجة الهجرات المتكاثفة . هذا البلد هو الولايات المتحدة الأمريكية .

البلاد العربية والهجرة

شهد الوطن العربى الكبير ضروبا شتى من الهجرات الداخلية والخارجية على مدى التاريخ ، وبعنينا الآن أن نتعرف على الهجرات العربية الحديثة . ويلاحظ بصفة عامة أنه فيما يختص بالهجرة شهد العالم العربى ظاهرتين واضحتين كل الوضوح أولهما أن قطاعات من هذا العالم العربى قد استهدفت لهجرات وفدت إليها من الخارج بصورة منظمة ومقصودة أكثر منها عفوية أو وقتية ، وبصورة مرسومة هى أقرب للعدوان المستتر أو الاستعمار التدريجى منها مجرد سعى تلقائى وراء الرزق أو زيادة الكسب . وهذا النوع من الهجرة المنظمة استهدف بوجه خاص قطاعين من أهم قطاعات العالم العربى ، وهما فلسطين والجزائر ، هذا عدا هجرات خارجية طبيعية وفدت على الإقليم المصرى منذ أواخر القرن التاسع عشر واستمرت إلى الربع الأول من القرن العشرين .

أما الظاهرة الديموجرافية الثانية الواضحة كل الوضوح فيما يختص بالهجرة فى العالم العربى . فهى مهاجرة أعداد كبيرة من بلاد الشام وخاصة سورية ولبنان إلى خارج العالم العربى وبخاصة إلى الامريكتين واستوطانهم هناك ، وقد عرف هؤلاء فيما بعد باسم المغتربين العرب Arab Emigrants .

وسنتكلم عن هاتين الظاهرتين بتفصيل أكثر فى الفقرات التالية :

١ — تيار الهجرة الخارجية إلى فلسطين

استهدفت الحركة الصهيونية استيطان اليهود أرض فلسطين ، وقد بدأت الحركة خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر .

وكان أول تحقيق عملى لفكرة الاستيطان اليهودى فى سنة ١٨٣٧ على يد اليهودى « موسى منتفيور M. Montfiore » الذى أنشأ أول مستعمرة يهودية فى أرض فلسطين التى كانت أبان ذلك الوقت تحت الحكم المصرى واستطاع مونتفيور أن يحصل على ضمانات من الدولة العثمانية بالحماية والإمتيازات وذلك بعد زوال حكم صديقه محمد على .

على أن الهجرة اليهودية بدأت تأخذ شكلها المنظم فى أواخر القرن التاسع عشر بعد ظهور الصحفى النمسوى « تيودور هرتزل Hertzel » فحتى منتصف القرن التاسع عشر لم يزد عدد اليهود فى فلسطين عن ١١,٨٠٠ نسمة ووصل فى سنة ١٨٨٢ إلى ٢٤,٠٠٠ نسمة . الا أنه لم تكد كتابات اليهودى هرتزل تظهر فى الوجود وخاصة كتابه « الدولة اليهودية Jewish State » حتى بدأت وفود الهجره تترى على أرض فلسطين وخاصة بعد أن رعاها بالمال والعتاد اليهودى الرأسمالى « أدمون دى روتشيلد » .

ويمكن تقسيم توافد اليهود على أرض فلسطين إلى عدة موجات ، الأولى تبدأ من سنة ١٨٨٢ وتنتهى سنة ١٩٠٣ ، وفى هذه المرحلة تأسست مستعمرات ثلاث ،

وبلغ عدد اليهـــود الذين وفدوا على فلسطين فى هذه الموجة حوالى ٢٥,٠٠٠ أغلبهم من روسيا القيصرية ودول أوربا الشرقية .

والموجة الثانية من موجات الهجرة هى التى استمرت فيما بين سنتى ١٩٠٤ و١٩١٣ حيث بلغ عدد المهاجرين ٤٠,٠٠٠ تقريباًولم يأت عام ١٩١٤ حتى كان العدد الإجمالى لليهود فى فلسطين حوالى ٨٥,٠٠٠ وفى هذه المرحلة

تأسست مدينة « تل أبيب » عام ١٩١٠ ولعل المميز للوحيد لهذه الموجة من الهجرة عن الهجرة التى سبقتها هى أنه بينما كان مهاجرى الموجة الأولى فى استيطاتهم يتبعون نظام الملكية الفردية نجد أن مهاجرى الموجة الثانية يتبعون نظام المستعمرات الجماعية التى تسير على النظام الاشتراكى حيث تنحصر الملكية فى المجموع ويتوزع العمل على الأفراد،ولعل أقدم مستعمرة طبق فيها هذا النظام هى مستعمرة « دجانيا » التى أنشأت سنة ١٩٠٩ . فى جنوب بحيرة طبرية . وهذا النظام الجماعى هو الذى طبق فى الاتحاد السوفيتى فيما بعد قيام الثورة البلشفية .

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى نفت السلطات التركية الحاكمة فى فلسطين عدداً كبيراً من اليهود المشتبه فيهم ، فتناقص عدد اليهود من ٨٥,٠٠٠ إلى ٥٦,٧٠٠ . وفى نهاية الحرب صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

والموجة الثالثة من موجات الهجرة اليهودية هى التى تقع فيما بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٣ . وفى هذه الموجة هاجر إلى فلسطين ما يقرب من ٣٥,٠٠٠ مهاجر أغلبتهم من أوربا الشرقية ، وتميز مهاجرو هذه الموجة باتباع نظام المزارع التعاونية Moshav ovidim حيث تولت كل أسرة مهاجرة استثمار مزرعة صغيرة دون الاستعانة بعمال مأجورين مع ربط مزارع المستعمرة كلها فى إطار اقتصادى متكامل . وفى نهاية عام ١٩٢٢ كان عدد اليهود قد وصل إلى حوالى ٨٤,٠٠٠ .

وابتداء من سنة ١٩٢٣ شهدت فلسطين مرحلة جديدة فى تاريخها فقد بدأت بريطانيا تمارس سلطاتها كدولة منتدبة على فلسطين وكان للدول مندوب بريطانى هو السير هربرت صمويل وهو من أصل يهودى ، وقد ساعد هذا المندوب فى تنفيذ وعد بلفور بما يلائم مصلحة اليهود ، ومن ثم

أنشأت الوكالة اليهودية التى أصبحت هى الحاكمة الفعلية للبلاد فى ظل الانتداب البريطانى ، فقويت موجات الهجـــرة وأنهالت المساعدات والقروض الأجنبية على يهود فلسطين،ومنحت إنجلترا لليهود أراضى شاسعة من أملاك الدولة ، وعلى العكس من ذلك سنت تشريعات غاية فى القسوة طبقت على المزارعين العرب وحدهم بقصد جعلهم يتخلون عن أرضهم . فى هذه الظروف وفد على فلسطين ٨١,٠٠٠ يهودى فى الموجة الرابعة التى أستمرت من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٣١ وزادت مستعمراتهم حتى أصبحت حوالى ١١٠ مستعمرة . وحين ثار السكان العرب على هذه الأوضاع سنت بريطانيا تشريعاً يقضى بتحديد عدد المهاجرين بخمسة آلاف سنوياً عام١٩٢٨؛ إلا أن الهجرة السرية لم تنقطع .

وكانت الموجة الخامسة من موجات الهجرة اليهودية فى الفترة ما بين ١٩٣٢ و ١٩٣٩ وهى أشد الموجات خطرا فى هذه الفترة أشتدت الحركة النازية فى ألمانيا وهى الحركةالمعادية لليهود على وجه الخصوص فأخذ يهودها يفرون إلى فلسطين وبلغ عددهم ٢٢٥,٠٠٠ مهاجر من ألمانيا ودول أوربا الوسطى التى خضعت لها ، وبذلك لم يكد ينصرم عام ١٩٣٩ حتى كان عدد اليهود فى فلسطين قد بلغ ٤٤٢,٠٠٠ .

وقد بدأ يهود الشرق أو المعروفين « بالسفارديم » يفدون أيضاً إلى فلسطين وخاصة من اليمن وجنوب الجزيرة العربية والحبشة وأفريقيا الشمالية وتركيا وإيران .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية ضعف تيار الهجرة إلى حد ما ثم أشتد فى أعقاب الحرب العالمية إشتداداً مروعاً وخاصة بعد حرب فلسطين وحوادثها المؤلمة سنة ١٩٤٨ تلك الحوادث التى أنتهت بميلاد الدولة المعتدية « إسرائيل » على جزء كبير من أرض فلسطين . ولكن

هذه الهجرة كان لا بد أن تقف عند حد معين نظراً للضرورات الاقتصادية وضيق مساحة الأرض ولذلك فترت الهجرة ، إبتداء من سنة ١٩٥٢ ، ولكن اتجاها قوياً يسود الآن بين حكام إسرائيل إلى جلب المهاجرين اليهود من شتى بقاع الأرض ووضع العرب أمام الأمر الواقع والتوسع على حسابهم ولا شك أن الحصار الإقتصادى الذى فرض على هذه الدولة كان له اثره الفعال فى كبح جماح الهجرة اليهودية وربما يتم إستكمال حلقات الحصار الحديدية حول إسرائيل وخاصة فى خليج العقبة وشل حركة ميناء إيلات

والجدول التالى يوضح عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين فى المدة مابين ١٩٤٦ و ١٩٥٢ .

السنة	عدد المهاجرين اليهود
١٩٤٦	١٧,٧٦٠
١٩٤٧	٢١,٥٤٢
١٩٤٨	١١٨,٥٤٠
١٩٤٩	٢٣٩,١٤١
١٩٥٠	١٧١,٩٠١
١٩٥٢	١٤,٩٢٠

راجع : الدكتور أحمد عبد القادر الجمال : من مشكلات الشرق الأوسط من مشكلة فلسطين .
والدكتور أحمد سويلم العمرى : الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين القاهرة ١٩٥٤ .

وتطور عدد اليهود الاجمالى فى فلسطين على النحو التالى

السنة	العدد الإجمالى
١٩٤٥	٥٩٣,٠٠٠
١٩٤٧	٦٤١,٠٠٠
١٩٤٩	١,٠١٤,٠٠٠
١٩٥١	١,٤٠٥,٠٠٠
١٩٥٢	١,٤٣٠,٠٠٠

وفى نهاية سنة ١٩٥١ بلغ عدد السكان العرب فى أرض فلسطين المحتلة ١٨٣,٠٠٠ منهم ١٢٠,٠٠٠ مسلم سنى و ١٥,٠٠٠ مسلم درزى و ٣٨,٠٠٠ مسيحى . أما اللاجئين العرب الذين يعيشون على حدود الأرض المحتلة فى قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن وحدود لبنان وسورية حوالى مليون وربع مليون لاجىء فيمكن اعتبارهم مهاجرين أيضا وإن كانت هجرتهم تعتبر هجرة قسرية تحت ضغط ظروف شاذة .

هذا واليهود لم يستطيعوا قبل سنة ١٩٤٨ أن يمتلكوا من أرض فلسطين أكثر من ٨ ٪ رغم المساعدات الهائلة التى كانت تنهال على اليهود من شتى بقاع الأرض وخاصة من بريطانيا وأمريكا ويهود الدول الأخرى ولم تتعد ملكية اليهود فى أى منطقة من مناطق فلسطين أكثر من ٣٥ ٪ من مجموع الأملاك كما يدل الجدول الآتى:

توزيع الأملاك الخاصة فى فلسطين حتى عام ١٩٤٨

المناطق	أملاك العرب	أملاك اليهود
صفد	٦٨	١٨ ٪
عكا	٨٧	٣ »
طبريا	٥١	٣٨
بيسان	٤٤	٣٤
الناصرة	٥٢	٢٨
حيفا	٤٢	٣٥
جنين	٨٤	أقل من ١
نابلس	٧٦	—
طولكرم	٧٨	١٧
رام الله	٩٩	١
القدس	٨٤	٢
الخليل	٩٦	أقل من ١
يافا	٤٧	٣٩
الرملة	٧٧	١٤
غزة	٧٥	٤
بئر سبع	١٤	أقل من ١

وباستثناء منطقة يافا حيث تقع تل أبيب ظل اليهود أقلية فى جميع مناطق فلسطين حتى عام ١٩٤٨ .

نسبة العرب واليهود إلى مجموع السكان حتى سنة ١٩٤٨

المنطقة	عرب	يهود
صفد	٨٧٪	١٣٪
عكا	٩٦ »	٤ »
طبريا	٦٧ »	٣٣ »
بيسان	٧٠ »	٣٠ »
الناصرة	٧٤ »	١٦ »
حيفا	٥٣ »	٤٧ »
جنين	١٠٠ »	— »
نابلس	١٠٠ »	— »
طولكوم	٨٣ »	١٧ »
رام الله	١٠٠ »	— »
القدس	٦٢ »	٣٨ »
الخليل	٩٩ »	أقل من ١
يافا	٢٩ »	٧١ »
الرملة	٧٨ »	٢٢ »
غزة	٩٨ »	٢ »
بئر سبع	٩٩ »	أقل من ١

٢ ـ الهجرة إلى الجزائر

مقدمة :

كانت الجزائر هى أولى بلاد المغرب العربى التى ابتليت بالاستعمار الفرنسى ، فقد بدأت عمليات الغزو والاعتداء الفرنسى على أرض الجزائر منذ سنة ١٩٣٠ ثم احتلت تونس فى سنة ١٨٨١ وأخيراً مراكش سنة ١٩١١ .

وترتكز سياسة فرنسا الاستعمارية على المركزية المطلقة فيما يختص بشئون المستعمرات ، وقد ارتبطت هذه السياسة بسياسة أخرى هى سياسة الفرنسة الجماعية وترتكز على محاولة ادماج الشعوب المستعمرة فى الكيان الفرنسى ، وذلك عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين ولغتهم ومفاهيم حياتهم ونظم مؤسساتهم السياسية والاجتماعية على شعوب المستعمرات عموماً حتى يستوعبوها ومن ثم يصبح كيانهم النفسى والثقافى فرنسياً كالفرنسيين تماماً .

ولا يهمنا هنا أن نناقش نظرية الفرنسة الجماعية ، فالذى يعنينا هو النتائج الديموغرافية التى صاحبت التعصب لهذه السياسة ، ففى غضون سنوات قليلة من الاحتلال الفرنسى لشمال أفريقيا أخذت تيارات الهجرة تنساب إلى هذه البلاد بصفة عامة لصلاحية جوها أكثر من غيرها من المستعمرات لمعيشة الأوربيين وقد استهدفت الجزائر بوجه خاص لتركيز مستمر ومتواصل لهجرة الأوربيين وبخاصة الفرنسيين والأيطاليين .

ففى مراكش وحدها بلغ عدد الأوربيين فى سنة ١٩٥١ حوالى ٣٥٠,٠٠٠ منهم ٢٧١,٠٠٠ فرنسى من مجموع السكان البالغ عددهم حوالى ٩ مليون نسمة .

أما فى تونس فيبلغ عدد الأوربيين حوالى ٣٠٠ ألف من مجموع السكان

البالغ عددهم حوالى ٤ مليون نسمة أى أن الأوربين يمثلون ٧٪ من مجموع السكان ، ويتساوى فى تونس عدد الفرنسيين والايطاليين .

ومنذ سنة ١٩٣٠ بدأت وفود الهجرة تتدفق على الجزائر منتهزة فرصة التسهيلات والمساعدات التى تقدمها سلطات الاحتلال الفرنسى .

والمهاجرون من الأوربيين الموجودين فى الجزائر الآن ليسوا كلهم من أصل فرنسى وإن كان قانون ٢٦ يوليه سنة ١٨٨٩ قد منحهم الجنسية الفرنسية فمنهم من يرجع إلى أصل إسبانى أو إيطالى أو مالطى أو يهودى.

ويبلغ عدد الأجانب أو الأوربيين غير المسلمين فى الجزائر حوالى ١,٧٥٠,٠٠ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالى ٩,٣٠٠,٠٠٠ نسمة أى أن نسبة الأوربيين فى الجزائر تساوى ١٨ ٪ من مجموع السكان وهى نسبة مرتفعة عن مثيلتها فى تونس أو مراكش . ويدل تعداد سنة ١٩٥٣ على أن ١١ ٪ من الأوربيين فى الجزائر يرجع إلى أصل فرنسى و ٥ ٪ إلى أصل إسبانى و ٥,١ ٪ إلى أصل إيطالى و ١ ٪ من بلاد أخرى .

والمتتبع لتيار الهجرة الأوربية للجزائر يلاحظ أن هذا التيار بلغ أشده فى المدة ما بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩٠٠ وكان أغلب المهاجرين فى هذه الفترة من اللاجئين وخاصة من مقاطعتى الإلزاس واللورين فى أعقاب الحرب السبعينية ، وكذلك أصحاب مزارع الكروم الذين تعرض محصولهم فى سنوات متعاقبة للبوار بسبب الآفات والجو . وقد وجد هؤلاء المهاجرين فى سلطات الاحتلال كل العون فقد وزعت عليهم أملاك الدولة وجزء كبير من الأوقاف الاسلامية فى الجزائر حتى أن تيار الهجرة لم تخف حدته إلا بعد نفاذ أملاك الدولة .

والجدول التالى يوضح تطور عدد المهاجرين الأوربيين فى الجزائر منذ سيطر عليها الفرنسيون .

السنة	عدد الأوربيين فى الجزائر
١٨٣٦	١٥,٠٠٠
١٨٥١	١٣١,٠٠٠
١٨٧٢	٢٨٠,٠٠٠
١٩٠١	٦٣٤,٠٠٠
١٩٣١	٨٨١,٠٠٠
١٩٤٨	٩٦٠,٠٠٠
١٩٥٣	١,٠١٩,٠٠٠

وقد منحت السلطات الفرنسية أجود الأراضى للمستوطنين الأوربيين وخاصة فى منطقة النل مستولية على أملاك الدولة وأملاك الأفراد وأراضى القبائل والأوقاف والمجاهدين من الثوار الذين يهبون بين حين وآخر فى وجه الاستعمار الفرنسى ، وقد بلغ جملة ما استولت عليه سلطات الاحتلال من أملاك المجاهدين وحدهم منذ سنة ١٨٧١ حوالى ٥٠٠,٠٠٠ هكتار . كما أن سلطات الاحتلال لم تكتف بذلك بل أصدرت قانوناً فى يولية سنة ١٨٧٣ هو قانون تحديد الأراضى المشاعة الذى كان من نتيجته الاستيلاء على حوالى نصف مليون هكتار وزعت على الفرنسيين . كما وزعت بعض الأراضى المسلوبة من أصحابها العرب على الفرنسيين مجاناً بواقع ٢٠٠ هكتار لكل عائلة فرنسية مستوطنة فى الجزائر وبلغ مجموع هذه الحصص المجانية حتى سنة ١٩٣٦ حوالى ٤٠٠,٠٠٠ هكتار .

ومن هذا يتبين أن المهاجرين الأوربيين على قلتهم فى الجزائر يتمتعون بالسيطرة الاقتصادية والادارية فهم من ناحية يمتلكون حوالى ٣ مليون هكتار من مجموع الأرض الزراعية البالغة ١١ مليون هكتار

أى أن ملكيتهم تصل إلى حوالى ٢٨ ٪ من مجموع الأرض الزراعية بينما عددهم لا يتجاوز ١٨ ٪ من مجموع السكان . ومن ناحية أخرى فالأوربيون هم المسيطرون على الادارة وجميع نواحى السلطة ، وتبعاً لذلك فى كثير من إدارات الدولة ومصالحها توضع جميع المشروعات العمرانية كإنشاء الطرق والسدود والقنوات لمصلحة الأوربيين المستوطنين .

الهجرة الخارجية من الشام

قلنا إن البلاد العربية تتميز بظاهرتين ديموجرافيتين واضحتين فيما يختص بتحركات السكان أو هجرتهم . الظاهرة الأولى هى استهداف بعض البلدان العربية لتيارات من الهجرة وفدت إليها من الخارج بصورة تكاد تكون مقصودة ومنظمة وهذا ما رأيناه فى فلسطين والجزائر . والظاهرة الثانية هى خروج هجرات من العالم العربى إلى خارج المنطقة متوجهة إلى الأمريكتين وبعض مناطق أفريقيا غير العربية .

ويرى بعض علماء السكان العرب أن هجرة اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين إلى الخارج تمثل مشكلة ديموجرافية واجتماعية بالنسبة للأمة العربية [١] .

فمن الناحية الاقتصادية تعتبر الهجرة مفيدة لما تدره من مال ، فقد ورد فى بعض المصادر أن مجموع الهبات التى أرسلها المهاجرون اللبنانيون وحدهم إلى ذويهم فى الوطن الأم بلغت حوالى ٤٠ مليون ليرة فى عام ١٩٥٢ [٢] وإلى المهاجرين يعود الفضل فى تعمير كثير من القرى اللبنانية ومدنها وموازنة العجز الدائم فى ميزانه التجارى .

ولكن الناحية الغالبة فى موضوع هجرة اللبنانيين والسوريين أنها تضعف من قوة الوطن العربى وتفقده جزءا كبيرا من الصفوة الفتية من أبنائه ،

---

(١) الدكتور عزه النص ص ٢٩٠ .

(٢) راجع د . البرت بدر محاضرات عن الاقتصاد اللبنانى .

ويترتب على ذلك مشكلة اجتماعية أخرى هى قلة عدد الزيجات وكثرة العوانس مما قد يؤدى إلى تيارات شاذة فى المجتمع العربى . وفى عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ كان ٧٧ ٪ من المهاجرين اللبنانيين ذكورا وكان ٧٥ ٪ منهم تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٤٤ سنة ، والجدول التالى يظهر هذه الحقيقة بوضوح .

فئات السن والجنس بين المهاجرين اللبنانيين فى سنة ١٩٥٣

الأعمار	ذكور	أناث	المجموع
٦٠ سنة فما فوق	١٢٠	٥٨	١٧٨
٤٥ — ٥٩	٢٨٣	١٠٨	٣٩١
٣٠ — ٤٤	٥٨٢	١٨٤	٧٦٦
١٥ — ٢٩	١٢٥١	٤٣٤	١٦٨٥
لغاية ١٤	١٧٢	١٢٣	٢٩٥
المجموع	٢٤٠٨	٩٠٧	٢٣١٥

[عن النشرة الإحصائية اللبنانية ربع السنوية . الربع الأخير لعام ١٩٥٣]

ويلاحظ أن أجيال المهاجرين المولودة فى الوطن العربى لا تزال تذكر لغة الأجداد وتعتز بالتراث العربى بل لقد ساهم بعض هؤلاء فى الحركة الفكرية والأدبية العربية وعلى سبيل المثال الشعراء خليل مطران دايليا أبو ماضى وغيرهم . أما الجيل الثانى والثالث فأفرادهما يذوبان تدريجيا فى كيان المهجر الذى يعيشون فيه ويتمثلون البيئة الجديدة ومن ثم يفقدون السمات العربية .

ومن التقارير التى كانت ترفعها فرنسا إلى عصبة الأمم بصفتها دولة الانتداب على سورية ولبنان يمكن تتبع تيار الهجرة بالإضافة إلى نشرات وتقارير متفرقة أصدرتها الحكومة اللبنانية .

ففيما بين سنتى ١٨٦٠ و ١٨٩٠ كانت وفود المهاجرين من الشام تتجه إلى الإقليم المصرى. وقد أسهم هؤلاء المهاجرون فى النشاط التجارى والثقافى والصحفى ولا تزال آثارهم ماثلة فى بعض الحقول إلى أيامنا هذه .

منذ عام ١٨٩٠ بدأ تيار الهجرة من الشام ينحسر عن الإقليم المصرى ليتجه إلى أمريكا الشمالية بحافز الرغبة فى تحسين مستوى المعيشة وجمع الثروة ، ومما ساعد على اشتداد تيار الهجرة إلى هذه البلاد أيضاً التحسن المستمر فى وسائل الملاحة البحرية والتسهيلات التى كانت تقدمها شركات النقل . ويتميز المهاجرون فى هذه الفترة بأنهم بدأوا حياتهم فى الدنيا الجديدة منذ أول السلم ، ثم تدرجوا حتى أصبحوا من كبار التجار فى المدن التى أقاموا فيها .

وفيما بين سنتى ١٩٠٠ و ١٩١٤ اشتد تيار الهجرة اشتدادا بالغاً وقدر عدد الراحلين سنوياً فى هذه الفترة بحوالى ١٥,٠٠٠ كان أغلبهم من المسيحيين الفارين من الخدمة العسكرية التى فرضتها الدولة العثمانية على جميع رعاياها بصرف النظر عن دياناتهم .

فى سنوات الحرب العالمية الأولى ضعفت الهجرة ولكن مالبث أن عادت واشتدت بعد انتهاء الحرب وإن كانت فى هذه الفترة - فترة ما بعد الحرب - قد غيرت اتجاهها . ذلك أن حكومة الولايات المتحدة أصدرت فى سنة ١٩٢١ قانوناً يقيد الهجرة وانتهجت كندا نفس النهج ، أما المكسيك فكانت ظروف الأمن الداخلية فيها غير مواتية بسبب المنازعات الدينية . ولذلك تحول تيار الهجرة وتدفق سيل المهاجرين نحو أمريكا الجنوبية ، كما ظهرت منطقة جديدة وجد فيها اللبنانيون والسوريون مجالا لنشاطهم ، وهذه المنطقة الجديدة هى أفريقية وخاصة منذ سنة ١٩٣٥ .

وعلى العموم كان تيار الهجرة بعد الحرب الأولى ضعيفاً نسبياً عنه

قبل الحرب ثم ظل يضعف شيئاً فشيئاً من ١٣,٥٠٠ سنويا فى أعقاب الحرب إلى ٤٠٠٠ سنويا سنة ١٩٣٨ .

والجدول الآتى يبين حركة الهجرة وما طرأ عليها من نشاط أو فتور فيما بين سنتى ١٩٢٤ و ١٩٣٨ ، وهذه الأرقام من واقع تقارير سلطات الانتداب الفرنسية على سورية ولبنان :

عدد المهاجرين من سورية ولبنان فيما بين سنتى ١٩٢٤ و ١٩٣٨

السنة	السوريين	اللبنانيين	المجموع
١٩٢٤	٧١٠٠	٦٤٠٠	١٣,٥٠٠
٢٥	٣٣٥٠	٧٦٣٠	١٠,٩٨٠
٢٦	٨٥٠٠	٧٥٠٠	١٦,٠٠٠
٢٧	٥٦٦٦	٣٧٢٥	٩٣٩١
٢٨	٨٢٩٠	٥٩٩٨	١٤٢٨٨
٢٩	٢٨٩٤	٥٠٤٧	٧٩٤١
٣٠	٣٤٦٣	٣٣٨٣	٧٣٤٦
٣١	١٠٣٩	١٣٨٧	٢٤٢٦
٣٢	٤٦٩	١١٧١	١٦٤٠
٣٣	٨٠٨	١٥١٦	٢٣٢٤
٣٤	٨١٠	١٦٩٩	٢٥٠٩
٣٥	١٧٤٢	١٩٩٢	٣٧٣٤
٣٦	٨٠٥	٢٢٧٧	٣٠٨٢
٣٧	٩٥٠	٣٣٤٥	٤٢٩٥
٣٨	٥٦٧	١٤٣٩	٢٠٠٦

هذا وقد بلغ متوسط العائدين إلى الوطن الأم — بسبب عدم القدرة على التكيف مع البيئة الجديدة — فى المدة ما بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ حوالى ٢٠٠٠ شخص سنوياً (سورى ولبنانى) .

وتذكر بعض المصادر أن نسب عدد المهاجرين السوريين واللبنانيين حسب البلاد التى قصدوها فيما بين سنتى ١٩٢٠ — ١٩٣٠ كانت كالآتى[1] :

أمريكا الجنوبية	٥٠ ٪
أفريقيا وخاصة السنغال	٢٥ ٪
أمريكا الشمالية	١٠ ٪
بلاد مختلفة	١٥ ٪

وأجرى مصدر آخر تقـــديراً مماثلا لنسب المهاجرين السوريين واللبنانيين حسب البلاد التى قصدوها فيما بين سنتى ١٩٢٦ — ١٠٣٨ فكانت تقديراته كالآتى[2] :

	من سوريا	من لبنان
أمريكا الجنوبية	٦٩,٢ ٪	٤٩ ٪
» الشمالية	٧,٢ »	١٠ »
» الوسطى	٤,٢ »	٨,٥ »
أفريقية	٦,٥ »	٢٦,٥ »
أوربا	٧ »	٤,٥ »
أسيا	٥,٨ »	٠,٥ »
استراليا	٠,١ »	١ »

ويعلق المصدر على هذا التقدير بقوله أن الكثرة الغالبة من المهاجرين

1. R. Thoumin: Géographie humaine de la Syrie Centrale P.335

(٢) الدكتور عزه النص : أحوال السكان فى العالم العربى ص ٢٩٤

السوريين واللبنانيين قد قصدوا أمريكا الجنوبية فى الفترة ما بين الحربين العالميتين وخاصة البرازيل والأرجنتين ، وتعتبر مدينة سـان باولو فى البرازيل أكبر مركز لهم . وفى أمريكا الشمالية تأتى الولايات المتحدة فى الدرجة الأولى (وخاصة مدينتى بوسطن ونيويورك) ويليها المكسيك ثم كندا . وفى أفريقيا كانت أهم المراكز التى قصدها المهاجرون هى السنغال وأفريقية الإنجليزية وغينيا الفرنسية وغينيا البرتغالية والسودان الفرنسى وأيرتريا . ومع أن هناك قيوداً فرضتها السلطات الاستعمارية الإنجليزية فى غرب أفريقيا على هجرة الأسيويين إلى هذه المناطق فإن أكبر مجموعة داخل هذه الإقليمات هى المجموعة السورية اللبنانية ، وهى لا تمارس نشاطاً سياسياً أو ثقافياً وإنما تعتكف على شئون المال والتجارة والتبادل الاقتصادى فقط ويبرز دورهم كوسطاء وسماسرة ودلالين ، كما يشتغلون بتجارة المنسوجات والبقالة وتسليف النقود وتجارة التجزئة ويمتلكون منازل وأراضى زراعية .

أما أمريكا الوسطى فأهم المناطق التى استوطن فيها المهاجرون هى كوبا وجزر الأنتى .

أما أوربا فكانت فرنسا هى أكثر البلاد التى قصدها المهاجرون ولعل ذلك كان مرجعه أن فرنسا كانت الدولة المنتدبة على سورية ولبنان فى ذلك الوقت وإن كان معظم المهاجرين إليها ترجع أصولهم إلى الأرمن الذين كانوا قد أقاموا فى سورية ولبنان بعد هجرتهم من تركيا .

ويلاحظ بصفة عامة أن الموارنة (طائفة من المسيحيين) كانوا أكثر إقبالا على الهجرة من المسلمين ، ولم يكن الدافع إلى هجرتهم البؤس أو العوز بقدر ما كان الدافع ثقافياً لاتصال هؤلاء بالغرب وثقافة الغرب عن طريق المدارس الأجنبية والإرساليات ودرايتهم بإمكانيات العمل والتجارة فى البلاد الخارجية ، وهذا ما يؤكده العلامة الفرنسى Demangeon

إذ يقرر أنه « لا يكفى أن يكون مستوى المعيشة منخفضاً لدى شعب ما ليحس ضرورة الهجرة بل يجب أن يتوفر لدى هذا الشعب الشعور بسوء حالته بالنسبة إلى غيره من الشعوب »[1]

ويمكن أن نوجز الأسباب التى ساعدت على هجرة السوريين واللبنانيين إلى الخارج فيما يلى :

١ — كثافة السكان مع ضيق الموارد الاقتصادية وخاصة فى جبال لبنان وجبال العلويين .

٢ — اضطراب الأحوال السياسية فى البلاد منذ أوائل القرن التاسع عشر والثورات المتعاقبة ضد الحكم العثمانى ثم ضد الحكم الفرنسى بعد الحرب الأولى ، وما تبع ذلك من اضطراب فى شئون الأمن والشئون الاقتصادية . إلى أن استقرت الأمور فى تلك البلاد فى وقتنا الحاضر .

٣ — التفاعل الثقافى بين حضارة الشرق والحضارة الغربية وسيادة التيارات التحررية ونبذ التواكل والقدرية والرغبة فى المغامرة .

هذا ومن ناحية أخرى يلاحظ أن وجود أعداد كبيرة من المغتربين العرب فى الخارج وخاصة فى الأمريكتين يساعد مساعدة فعالة فى الدعاية للقضايا العربية وتنوير الرأى العام العالمى بحقيقة ما تنطوى عليه هذه القضايا من حقائق بعيدا عن زيف أبواق الدعاية الصهيونية والاستعمارية المضللة . وقد عملت الجمهورية العربية المتحدة على الاستفادة من جهود هؤلاء المغتربين وولائهم لوطنهم فعقدت لهم مؤتمرا فى أغسطس سنة ١٩٥٦ لتجديد ولائهم وإطلاعهم على مظاهر التقدم العمرانى والحضارى الذى أصاب قطاعات الحياة الاجتماعية

---

(١) نقلا عن كتابه :
Demangeon Problemes de Geographie Humaine P 46

فى وطنهم الأم ، كما كان من أغراض هذ المؤتمر محاولة تنسيق الجهود العربية فى المهجر وتعبئتها على أسس سليمة تكفل الاستفادة منها إلى أقصى حد ممكن فى سبيل العروبة وقضاياها .

الإقليم المصرى والهجرة

كان موقع الإقليم المصرى الجغرافى سبباً فى وفود كثير من المهاجرين إليه ، كما كان للنشاط التجارى ـ فضلا عن العامل الاستعمارى ـ أثر كبير فى ترغيب الإقامة فيه هذا إلى جانب ما اشتهر به سكان البلاد الأصليين من كرم الضيافة والافراط فى المسالمة ، وقد كثر ورود هذه الأجناس بعد فتح قناة السويس بصفة خاصة .

وبين الجدول الآتى عدد المستوطنين فى الإقليم المصرى من الأجانب من الجنسيات المختلفة فى بعض السنين التى عملت فيها إحصائيات عامة .

الجنسية	العـــدد			
	فى سنة ١٨٨٢	فى سنة ١٨٩٧	فى سنة ١٩٠٧	فى سنة ١٩١٧
أتراك	—	—	٦٩٧٢٥	٣٠٧٩٧
يونانيون	٢٧٣٠١	٣٨٢٠٨	٦٢٩٧٣	٥٦٧٣١
إيطاليون	١٨٦٦٥	٢٤٤٥٤	٣٤٩٢٦	٤٠١٩٨
فرنسيون	١٥٧١٦	١٤١٣٧	١٤٥٩١	٢١٢٧٠
إنجليز	٦١١٨	١٩٥٦٣	٢٠٦٠٣	٢٤٤٥٤
أجناس مختلفة	١٣٠٨٦	١٦١٧٨	١٨٢٧١	٣٣٥٩٩

يلاحظ أن عدد المهاجرين يتزايد بخاصة فى السنين التى تنزل فيها أزمات بالبلاد التى يهاجرون منها ، أو فى السنين التى تبدو فيها علامات الرخاء فى مصر أو فرص استغلال رءوس الأموال الأجنبية سانحة ، ثم إن تقدم أسباب المواصلات فى خلال القرن ١٩ يعتبر عاملا هاما فى اشتداد حركة المهاجرة الخارجية .

كما يلاحظ أن توافد الأجانب على إقليم مصر كان شديدا حتى عام ١٩٢٧ ثم أخذ بالتناقص التدريجى كما تدل الإحصائية التالية .

الجنسية	١٩٢٧		١٩٣٧		١٩٤٧	
	العـدد	النسبة	العـدد	النسبة	العـدد	النسبة
		٪		٪		٪
يونانيون	٧٦٢٦٤	٣٤	٦٨٥٥٩	٣٧	٥٧٤٢٧	٣٩
إيطاليون	٥٢٤٦٢	٢٣	٤٧٧٠٦	٢٥	٢٧٩٥٨	١٩
بريطانيون	٣٤١٦٩	١٥	٣١٠٢٣	١٧	٢٨٢٤٦	١٩
فرنسيون	٢٤٣٣٢	١١	١٨٨٢١	١٠	٩٧١٧	٧
أتراك	٩٢٨٤	٤	٣٢٠١	٢	٥٣٧٥	٤
آخرون	٢٩٠٨٩	١٣	١٦٧٠٥	٩	١٧١٩٢	١٢
الجملة	٢٢٥٦٠٠		١٨٦٥١٥		١٤٥٩١٥	

وهذا بالطبع عدا الذين اكتسبوا الجنسية المصرية (سابقاً) . ويتجمع الأجانب خاصة فى محافظتى القاهرة والاسكندرية وفى مدينتى بور سعيد والمنصورة ، وكانوا يتمتعون إلى وقت قريب بنفوذ مالى كبير .

ويلاحظ على الجدول السابق تناقص مستمر فى عدد الأجانب الموجودين فى إقليم مصر ولعل ذلك يرجع فى المقام الأول إلى التطور السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، فمن الناحية الأولى بدأت قبضة الاستعمار تخف شيئاً فشيئاً عن مصر إلى أن زالت نهائياً بعد الثورة ، ومن الناحية الثانية بدأ الوعى ينتشر بين جموع المصريين وانتشر التعليم وزادت نسبة المتعلمين وألغيت المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية ، ومن الناحية الثالثة بدأ الوعى الاقتصادى بين المصريين يشتد وخاصة بعد إنشاء بنك مصر وشركاته

وكان ذلك فى الواقع ارهاصاً بزوال الاحتكارات الأجنبية وتلاشى نفوذ الأجانب الاقتصادى بالتدريج .

ويلاحظ أيضاً على الجدول السابق أن الجالية اليونانية كانت ومازالت تمثل أكبر الجاليات الأجنبية فى إقليم مصر هذا عدا عدد كبير منهم تجنس بالجنسية المصرية ويرجع ذلك إلى التقارب التاريخى والصداقة القديمة بين الشعبين المصرى واليونانى وتوثق العلاقات بين حكومتى البلدين فى النواحى الاقتصادية والثقافية والسياسية ، فلليونان مواقف مشرفة فى السياسة العالمية بخصوص القضايا العربية من ذلك أنها إحدى الدول الأوربية المعدودة التى لم تعترف إلى الآن بإسرائيل ، ووقفت بجانب العرب فى مؤتمر لندن الذى عقد فى أغسطس سنة ١٩٥٦ لبحث مشكلة تأميم قناة السويس ، كما أن المرشدين اليونانيين وقفوا إلى جانب المرشدين المصريين حين انسحب جميع المرشدين الأجانب فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٦ بقصد تعطيل الملاحة .

وإذا أخذنا القطاع الزراعى لنتبين مدى سيطرة الأجانب عليه كمصدر من مصادر الثروة القومية نجد أن ملكيتهم للأرض الزراعية تتجه إلى التناقص المستمر منذ سنة ١٩٢٧ . والاحصاءات الحديثة تدل على أن ملكية الأجانب للأرض الزراعية فى الإقليم المصرى لم تتعد فى سنة ١٩٥٦ ١٤٢,٠٦٢ فداناً .

والجدول التالى يوضح التناقص المستمر فى ملكية الأجانب للأرض الزراعية سنة بعد أخرى .

السنة	المساحة بالفدان
١٩٥٢	١٦٤٦٣١
١٩٥٣	١٥٧٥٢٧
١٩٥٤	١٥٤٩٤٢
١٩٥٥	١٤٨٤١٩
١٩٥٦	١٤٢٠٦٢

وفى سنة ١٩٥٥ كان عدد الملاك الأجانب حوالى ٣٦٥٥ مالكا انخفضوا فى سنة ١٩٥٦ إلى ٢٣٩٦ مالكا وهذا يوضح تحرر الاقتصاد القومى فى قطاع الزراعة من قبضة الأجانب ، ويتناسب هذا التحرر تناسباً طردياً مع الأوضاع السياسية فى البلاد .

أما عن هجرة سكان الأقليم المصرى للخارج فهى لا تعد شيئاً يذكر . فقد كانت نسبة المصريين المولودين فى الخارج ١,٥ ٪ من سكانها الأصليين فى عام ١٩٢٧ (وبخاصة فى السودان) وهبطت هذه النسبة إلى ١ ٪ فى عام ١٩٣٧ .

ولذلك فمن المأثور عن سكان الإقليم الجنوبى المصرى التمسك بأرض الوطن . وترجع عوامل إحجام المصريين عن الهجرة الخارجية إلى ما يأتى :

١ — درجة التكامل فى الوحدة العائلية وقوة التأثير الأبوى فيها .

٢ — اعتماد أغلب سكان الإقليم على الزراعة وارتباطهم بالأرض . وهذه المهنة تدعو دائماً إلى الإستقرار وقلما تشجع المشتغلين بها على أن يتركوا الأرض إلى جهات أخرى .

٣ — القناعة والرضى اللتان يعرف بهما الفلاح والعامل المصرى وهذه الصفات من شأنها أن تضعف روح المغامرة والطموح والسعى وراء المزيد من الرزق . يقول العلامة « ديمانجون Demangeon » — كما سبق أن أشرنا — « لا يكفى أن يكون مستوى المعيشة منخفضاً لدى شعب ما ليحس ضرورة المهاجرة بل يجب أن يكون لديه شعور بسوء حالته بالنسبة إلى الشعوب الأخرى » .

٤ — ضعف الكثافة السكانية نسبياً فى الإقليم المصرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهما القرنان اللذان بلغت فيهما موجات الهجرة أقصاها فى مختلف بقاع العالم. فكانت حالة مصر السكانية دون الحالة فى دول غرب أوربا التى هاجر أبناؤها إلى الأمريكتين تخفيفاً للازدحام السكانى .

نتائج الهجرة

أولا : نتائج الهجرة الداخلية :

تركت الهجرة الداخلية أثاراً عميقة فى طبيعة الحياة الإجتماعية فى المجتمع الواحد بشقية الحضرى والريفى على السواء ، وكان من أبرز هذه الآثار :

(ا) نقص فى القوى البشرية العاملة فى بعض قطاعات المجتمع الريفى بعد موجات الهجرة المتتالية من الريف إلى المدن ، وكان من نتيجة ذلك أرتفاع أجر العامل الزراعى فى البلاد التى شهدت هذا النوع من الهجرة الداخلية على نطاق واسع مع اثبات النسبى فى المواليد .

(ب) لجأت بعض الهيئات الحكومية أو الأهلية أو الأفراد إلى جلب عمال زراعيين فى أحيان كثيرة من خارج بلادهم ، وقد وضحت هذه الظاهرة الديموجرافية فى أمريكا خلال القرن التاسع عشر فى استقدام الزنوج لزراعة القطن وخاصة فى الولايات الجنوبية ، كما تبدو هذه الظاهرة على نطاق موسمى فى فرنسا فى موسم جمع الكروم وفى البرازيل فى موسم جمع البن . ولا شك أن استقدام عمال أجانب قد يكون له نتائج ضارة فى أحيان كثيرة وخاصة من الناحية الاقتصادية ، فأجور هؤلاء العمال تعتبر نوعاً من تسرب النقد أو الواردات غير المنظورة وخاصة إذا كان هؤلاء العمال يعودون إلى بلادهم ثانية ومعهم مدخراتهم ، كذلك يمثل إستقدام العمال الأجانب مشكلة ثقافية وأخرى تكيفية مع البيئة الجديدة أو المؤقتة .

(حـ) تركز العمال فى الإنتاج الصناعى ، ومفهوم أن الصناعة هى فرع واحد من فروع الانتاج العديدة . وقد أدى ذلك إلى إختلال التوازن بين مختلف فروع الإنتاج والخدمات وعدم التناسق بين قوى الدفع

الاجتماعى التى تعمل لتطوير المجتمع فى شتى نواحيه ، كما أدى التركز فى الصناعة أيضاً إلى إنخفاض الأجور انخفاضاً سريعاً ، وقد وضحت هذه الظاهرة فى أوربا غداة الثورة الصناعية واستقبال المدن للهجرات من الريف على نطاق واسع وزيادة عـــدد العمال عن طلبهم مما أدى إلى إنخفاض أجور العمال إلى ما يسمى بالأجر الحديدى Iron Wage أو أجر الكفاف ، ومما يدل على خطورة هذه الظاهرة — ظاهرة انخفاض الأجور نتيجة الهجرة الداخلية — أن حالة البؤس التى آل إليها العمال كانت الشرارة الأولى فى ظهور تيارات الفكر الاشتراكى منذ أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر كله ، وكانت مشكلة الأجر الحديدى وبؤس الطبقة العاملة من المسائل الرئيسية التى دارت حولها كتابات أشهر مفكرى هذا العصر من أمثال « سميث » و « ريكاردو » و « ماركس » و « انجلز » و « فردريك ليست » و « فوربير » .

(ي) ظهور كثير من المشاكل فى المدن وخاصة تلك التى زادت كثافتها السكانيه ، فقد كان النمو المطرد مع توقف موجات الهجرة الداخلية وانخفاض معدل الوفيات نتيجة التقدم الصحى والطبى خليقا بأن يولد عدداً من المشاكل الاجتماعية تجل عن الحصر ، ولم يستطع النشاط الحكومى أو النشاط الأهلى أن يقابل هذه المشاكل بما يلائمها من حلول سريعة وذلك لضيق مواردها المالية والفنية وعدم كفاية أجهزة التخطيط والقصور فى التشريعات العمالية الإجتماعية . وأبرز المشاكل التى ترتبت على النمو المفاجىء فى سكان المدن مشكلات الاسكان والمواصلات والصحة العامة والتعليم والأندية ودور الرعاية الاجتماعيه والحدائق العامة ودور التسلية ومؤسسات الخدمة العامة . . . الخ .

(هـ) انتشار كثير من التيارات الشاذة والانحرافات كنتيجة من نتائج

الضغط على المدينة كوحدة مورفولوجية محدودة النطاق . فارتفاع معدلات الجرائم بأنواعها المختلفة من سرقة ونشل وتسول وتعاطى للمخدرات يمكن أن يعزى إلى حدما إلى الزيادة أو الأزدحام السكانى متفاعلا مع عوامل اجتماعية أخرى ، كما أن الدعارة أو تجارة الرقيق الأبيض ولعب الميسر والأسراف فى تعاطى الخمور والشذوذ الخلقى والجنسى . . . ما هو إلا تعبير عن مشاكل الوحدة المورفولوجية المحدودة التى تعرف بالمدينة وما يسودها من صراع ومنافسة وروح إنتهازية ساهمت فى خلقها الكثافة السكانية الشديدة .

(و) لم يكن بريق الثورة الصناعية جاذبا لاهتمام الأفراد وإنتباههم فحسب بل كان أيضاً جاذبا لاهتمام الحكومات فأخذت بعض الحكومات تولى مزيد عنايتها للمدن ومشاكلها وتوجه إليها كل الاهتمام ، خاصة وأن مشاكل الدول لم تكن تنتهى وكلما كانت الحكومة تعالج مشكلة من المشكلات كانت تظهر مشاكل أخرى عديدة وذلك لسبب واحد رئيسى، وهو أن علاج الحكومات لمشكلات المدن كان إلى وقت قريب جداً يقوم على الارتجال وعدم التخطيط وقلة الاهتمام بالأخذ بالأساليب العلمية الحديثة فى تناول المشكلات الاجتماعية وعلاجها علاجاً تكامليا وقد أدى هذا على اسنزاف كثيرا من الجهود والأموال ولم يؤت الإصلاح أو محاولات الاصلاح ما كان يرجى لها من نجاح ومن جهة أخرى فقد سبب هذا فى كثير من المجتمعات إهمالا لشئون الريف وعدم العناية بأهله واعمال مصالحهم ورغباتهم مما أدى إلى ضعف الانتاج الزراعى وتدهور الثروة الحيوانية ، كما أن عدم توفر أعمال الرعاية الاجتماعية والخدمات العامة ساعد على توسيع رقعة الفقر وانتشار الجهل والمرض وما إليها من الأمراض الاجتماعية الباثولوجية فى البيئات الريفية .

(ز) من نتائج الهجرة الداخلية ـ أيضاً ـ وتخلخل السكان فى الريف أن تخلف أهل الريف عن أهل الحضر وقامت هوة ثقافية بين قطاعى المجتمع الواحد ووجود مثل هذه الهوة الإجتماعية Social lag يعتبر من الأخطار التى تهدد وحدة المجتمع أو المركب الجمعى الكبير ، ولذلك كان من أهم الواجبات القومية تدارك مثل هـــذه الحالة باصلاح أحوال الريف والنهوض بمستوى سكانه .

ثانياً : نتائج الهجرة الخارجية :

للهجرة الخارجية نتائج متعددة ومختلفة بتعدد واختلاف ظروف الأفراد المهاجرين والبيئات والمجتمعات المهاجر منها والمهاجر إليها .

(١) فالنسبة للمهاجر نفسه ، يمكننا أن نلحظ بصفة عامة أن الهجرة قد تؤدى بصفة مباشرة ، وغير مباشرة إلى زيادة كفايته الفنية والانتاجيه ذلك لأن المفروض فى المهاجر أنه يعمل على تحسين حالته بالنسبة لما كان عليه قبل مهاجرته ، وبذلك فهو يختار نتيجة تجربته الإجتماعية السابقة من الوسائل والسبل التى تمكنه من أن ينتج أكثر مما كان ينتج فى موطنه الأصلى ، غير أنه لا شك أنه يواجه مشكلات اجتماعية من طبيعة اقتصادية وثقافية تستلزم تكيفه تكيفاً يلائم طبيعة الحياة الجديدة التى يقبل عليها ، خاصه إذا كانت بيئته الاجتماعية والثقافية الأصلية تختلف فى نماذجها وأنماطها الحضارية والثقافية عن البيئة التى هاجر إليها ، ومن هنا تنشأ عدة مشكلات اجتماعية تؤدى إلى تفكك فى النظام العائلى ، أو فى الجنوح إلى السلوك غير السوى أو إلى التفكك فى التنظيم الاجتماعى بوجه عام . وقد عنى بتتبع هذه الآثار الناجمة عن عدم استطاعة تكيف المهاجر ببيئة الاجتماعية الجديدة عدد كبير من علماء الإجتماع المعاصرين ، نخص منهم

بالذكر مابيل اليوت M. Elliot[1] ولويس ويرث L. Wirth[2] كما عالج كثير من العلماء موضوع تكيف المهاجرين للبيئات الاجتماعية المنتقلين إليها ، واختص بهذا اللون من الدراسة علماء الايكلوجيا[3] ، وفى مقدمتهم وليم توماس (W. Thomas)[4] ، وفلوريان زنانيكى F. Znaniecki ، وأدينا ريتش A. Rich[5] وباولين يونج P.Young فقد تتبع الأولان الجماعات البولندية الريفية التى هاجرت إلى أمريكا ، وبينا المشكلات الفردية والجماعات التى تعرضت لها فى سبيل تكيفها بالثقافة الأمريكية ، كما عالج الثالث المشكلات الجارية الناتجة عن هجرات متتالية على الولايات المتحدة ، أما الرابعة فقد درست مشكلات فرقة دينية روسية هاجرت إلى لوس أنجلز الأمريكية ، وحاولت أن تحتفظ ميزاتها الثقافى الروحى فى خضم صراعها من التراث الأمريكى المادى[6] .

وكذلك عنى كل من ممفرد Mumford[7] وكاربنتر N. Carpenter[8] ببحث ما يتعرض له المهاجر من بيئة ريفية إلى مدينة حضرية على نحو ما يظهر فى مؤلفيهما عن الأنماط الثقافية للبيئات المدنية .

---

(1) Mabel A. Elliott, and Francis E. Merrill, Social Disorganization.

(2) Louis Wirth, Culture Conflict and Delinquency, Social Forces, June 1937.

M. A. Elliott, opt. cit., Migration and Family Disorganization. ch. XXVIII. Migration 577 ff.

Migration and Suicide pp. 592 - 593.

(3) E. W. Burgess, "Accommodation" Encyiopaedia of the Social Sciences, vol II.

(4) Thomas, William, and Znaniecki, Florian, The Polish Peasant in Europe and America, N. Y. 1927.

(5) Rich, Adena M. : Current Immigration Problems, Social Service Review March 1947

(6) Young, Pauline V., The Pligrims of Russian Town 1935.

(7) Lewis Mumford The Culture of Cities, 1938.

(8) Niles Carpenter, The sociology of city Life N. Y. 1931.

وإلى جانب هذه الدراسات المتخصصة فى الآثار الثقافية للهجرات الخارجية ، نجد كثيراً من الدراسات العامة المتصلة بمشكلات الهجرة الاجتماعية وخاصة ما اتصل منها بمشكلة اللاجئين The Refugees على نحو ما قام به موريس دافى Maurice R. Davie عن اللاجئين فى أمريكا(١) ، ومشكلة اكتساب الجنسية Naturalization ، بالنسبة المهاجرين ، وشروطها وقواعدها بالنسبة لمختلف البلاد والدول التى تستقبل مهاجرين بصفة رسمية أو بصفة عفوية ، ومن ذلك أيضاً الدراسات المتصلة ببيان أثار الهجرة من الناحية الاقتصادية ومن الناحية الدينية وخاصة على التنظيم الاقتصادى أو الهيكل الدينى العام .

ولا يسمح المجال بسرد تفصيلى لهذه الجوانب المتعددة من الآثار الاجتماعية والثقافية للهجرات الخارجية الدائمة ، ولكن يكفى أن نشير بصفة عامة ، إلى أن الظروف التى تحيط بالأفراد والجماعات المهاجرة إلى بيئات اجتماعية غريبة عليها ، ظروف غاية فى التعقيد وأبعد ما تكون عن البساطة .

وذلك نتيجة لازمة لاصطدام النماذج الثقافية التى ألفها المهاجرون فى وطنهم الأصلى ، بالنماذج الثقافية الموجودة فى المجتمع الجديد ، وتظهر آثار الهجرة بصورة واضحة فى حالة ما إذا كان المهاجرون ينتسبون إلى سلالة من السلالات التى تعد نفسها أرقى من سلالة ذلك المجتمع أو كانوا قد بلغوا من المستوى الحضارى والثقافى مالم يبلغه أفراد ذلك المجتمع المهاجرين إليه فإذا كان المهاجرون من ذوى المكانة الاجتماعية العالية أو النفوذ المستمد من السلطان السياسى أو الغزو الحربى ، فإنهم قد يسيطرون على السكان الأصليين

---

(1) Maurice R. Davie, Refugees in America : N. Y. 1947.

(2) Harry Jerome, Migrations and Business cycles National Bureau of Economic Research N. Y. 1926.

على نحو ما لمسناه من آثار الهجرات الأجنبية فى قطاعات كثيرة من الوطن العربى الكبير ، مما تزال أثارها واضحة فى شمال أفريقيا العربية وخاصة الجزائر ، إذ أن الاستعمار الغربى قد مكن للمهاجرين الفرنسيين من أن يصبحوا أصحاب السلطة فى البلاد وذلك عن طريق تمييز هؤلاء المهاجرين بحكم قانون الأحوال الشخصية الفرنسى وهذا هو الشأن بالنسبة لجميع المستعمرات الموجودة فى القارة الأفريقية .

ويمكننا القول بصفة عامة أن المستعمرين الذين ينزعون نحو السيطرة يحاولون إقامة مجتمع غريب ، لا يُتاح للأهالى الأصليين الاندماج فيه رغم مقاومة هؤلاء له على نحو ما هو موجود الآن فى جنوب أفريقيا وقد يسمح للأهالى الأصليين بالاندماج والتزاوج مع المهاجرين ، رغم اختلاف سلالاتهم ، على نحو ما هو ملموس فى نيوزيلندا وأمريكا اللاتينية وأوكلاهوما(١) ، وذلك بفضل العملية الاجتماعية المعروفة باسم انصهار السلالات Amalgmation (٢) وفى الحالات التى يتفوق فيها المهاجرون تفوقا ساحقا عن السكان الأصليين ، فإنهم قد يعملون على التخلص منهم وإبادتهم كما حدث من المهاجرين البيض ضد السكان الأصلين فى تسمانيا وفى بعض أجزاء ميلانزيا وبعض الولايات الأمريكية على أننا إذا طرحنا جانبا تلك الآثار المترتبة على الهجرة التى تؤازرها القوة الغاشمة . ونظرنا إلى الهجرات الرتيبة التى لا يساندها هـــدف استعمارى أو استغلالى نلاحظ أن الهجرة من الناحية القومية ، ومن وجهة النظر المحايدة ليست من المسائل التى يمكن الجزم بنفعها أو ضررها إطلاقاً ، إذا يجب أن ينظر إليها فى كل أمة ، وفى كل عصر على حدة .

فمثلا كانت مهاجرة الإيرلنديين فى النصف الثانى من القرن ١٩ ضارة

Pitt - Rivers, The clash of Culture and the Contact of Races عن كتاب المجتمع . ماكيفر . ترجمة الدكتور على عيسى ص ٣٤٨ — ٣٥٨ .

(٢) انظر ما ورد بهذا الصدد فى كتابنا العلاقات الاجتماعية .

بالنسبة لتلك البلاد ، إذ حرمتها من معظم رجالها الفنيين بسبب سوء نظام الملكية ، واضطراب حياة البلاد السياسية ، فعم الفقر البلاد وقتذاك .

أما فى إيطاليا فكان الأمر على عكس ذلك ؛ لأن مهاجرة السكان منها كان بمثابة صمام أمن خفف من ضغط السكان على المواد الغذائية ، وهـــذا يحول دون حدوث ما قد ينشأ عن ذلك من الاضطرابات الاجتماعية ، ويخفف من وطأة المناقشة بين العمال فيها ، بينما تتحسن حالة من هاجر من أهلها ، لأنهم يظفرون فى البلد الذى ينزلون فيه بمركز أفضل وأجر أعلى .

هذا إلى أن المهاجر يظل محتفظاً بعلاقته بوطنه الأصلى ، فيرسل بالنقود من وقت لآخر إلى من تركهم وراءه من أهله وأقاربه ، كما أنه غالباً ما يعود إلى وطنه الأصلى حاملا معه ثروته التى جمعها من تلك البلاد ، وحتى إذا لم يرجع ثانية إلى وطنه فإنه يظل زمناً طويلا مروجاً لما تصدره بلده من المنتجات ، كما أنه قد ينهيأ عن طريق المهاجرة إذاعة لغة وأفكار وآداب البلد المهاجر منها إلى البلد المهاجر إليها ، وتصبح الهجرة فى هذه الحالة عاملا هاماً من عوامل الدعوة والنفوذ فى البلاد الأجنبية .

ومن ناحية البلاد المهاجر إليها ، قد تستفيد هذه البلاد من نزول الأجانب بأرضها عندما تكون بلاداً بكراً تحتاج إلى الأيدى العاملة اللازمة لاستغلال مواردها الطبيعية ، فمن المحقق مثلا أن الولايات المتحدة لم تكن لتستطيع أن تستغل مواردها العظيمة وتصبح فى مقدمة المجتمعات الصناعية إذا لم تكن أوربا على اختلاف أجناسها قد أمدتها بالملايين من العمال وخاصة الفنيين .

وحتى فى بعض البلاد العريقة فى المدنية ، نجد أنه فى بعض الظروف ، ومن بعض النواحى أن مهاجرة الأجانب قد تكون مصدر خير لها ، إذا يحملون إليها علومهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومن أجل

هذا استقدم زراع من آسيا الصغرى لتعليم المصريين زراعة القطن ، وشجع كثير من العمال الأجانب على الإقامة فى الاقليم المصرى لإدخال بعض الصناعات الحديثة .

غير أن استيطان أجناس متباينة قد يصبح فى أحوال كثيرة مصدر أضرار . فقد يترتب على كثرة عدد المهاجرين الأجانب تحول فى الصفات الأصلية لأهالى ذلك البلد ، واضمحلال أو ضياع مميزاتهم الثقافية ، وفى هذا إضعاف لقوته المعنوية أو الحيوية . وبخاصة إذا كان المهاجر إليه من جنس أحط من سكانه الأصليين .

والواقع أن المجتمعات أو بالأحرى الحكومات ، تمر بدورين إزاء استيطان السلالات الأجنبية المهاجرة إلى بلادها .

الدور الأول : هو إباحة ، بل تشجيع المهاجرين الأجانب كلما كانت الأحوال الإقتصادية تدعو إلى ذلك ، أو تسمح بذلك دون إضرار بالمصالح القومية ، ولا تزال بعض دول أمريكا اللاتينية والأرجنتين والبرازيل تمثل إلى حد كبير هذا الدور ؛ لاحتياجها إلى الأيدى العاملة فى استغلال ثرواتها الطبيعية .

أما الدور الثانى : فتوضع قيود على المهاجرة ، لتحمى الصفات الأصلية للأهالى ، أو لتحول دون امتزاج جنسها بسلالات تعتقد أنها أقل منها ، كما كان الشأن فى الولايات المتحدة من اتخاذ وسائل خاصة ضد المهاجرين الصينين وضد الجنس الأصفر بوجه عام ، أو لتحول دون تسرب العناصر غير المرغوب فيها إلى داخل البلاد ، أو خشية منافسة الأيدى العاملة الأجنبية التى تفد إلى بلادهم ، وما يترتب على ذلك من هبوط الأجور ، ولهذا تقف نقابات العمال فى المجتمعات الرأسمالية ضد دخول العمال الأجانب لحماية العمل الوطنى .

وإن شئنا أن نضرب أمثلة تطبيقية بالهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، يمكننا أن نستعين بما جاء بكتاب « المجتمع » لماكيفر وبيج [1] خاصا بالدراسات التى قام بها بعض العلماء الأمريكان أمثال ميدرال C. Mydral [2] ، وامبرى E. R. Embree [3] ، وجونسون C. S. Johnson [4] ، وكثير غيرهم عن مشكلة امتزاج السلالات الملونة واختلاط الأجناس ، وعن تمثل الثقافات بين المهاجرين ، فمن المعروف أن أمريكا قد استهدفت لموجات متتالية من المهاجرين الذين وردوا إليها من معظم بلاد العالم تقريباً ، وقد حمل هؤلاء المهاجرون عاداتهم الاجتماعية ، ونماذج مجتمعاتهم الثقافية ، وأحكامهم التقديرية ، وقد نشأ ولا شك نتيجة للهجرات الجماعية مشكلات تتصل بالتكيف الاجتماعى للحياة فى المهجر الجديد وخاصة بين الفئات الاجتماعية المتباينة فى صفاتها النوعية والسلالية .

وتدل الدراسات العلمية التى عالجت هذا الموضوع على أن الانجليز والاسكتلنديين ، قد أظهروا استعدادا أكثر من الفرنسيين للتكيف بالبيئة الاجتماعية الأمريكية ، وبوجه عام لم يجد المهاجرون القدماء الذين هاجروا إلى أمريكا من دول جنوبى أوربا قبل عام ١٨٨٠ صعوبات كثيرة للتكيف مع البيئة الاجتماعية الجديدة ؛ إذا قورنوا بالمهاجرين المهاجرين إليها من تلك الدول بعد تلك السنة وقد أدى ذلك إلى ظهور ظاهرة اجتماعية جديرة بالتسجيل ألا وهى أن هؤلاء المهاجرين قد اضطروا إلى تكوين «مستعمرات» تشبه الجماعات المحلية التى تمثل مراكز ثقافية مغلقة إلى حد ما ، حيث

---

(1) Maclver, Robert and H. Page, charles Commutuity 1949.
ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور على عيسى .

(2) Mydral, An American Dilemma N. Y. 1944.

(3) E. R. Embree, Brown American N. Y. 1943.

(4) C. S. Johnson, Patterns of Negro Segregation, N.Y. 1943.

راجع : The Segregation Issue of Survey Graphic January 1947

يتمسكون فى نطاقها بأنماطهم السلوكية التى حملوها معهم من مواطنهم الأصلية وأصبحت من المظاهر الديموجرافية الواضحة أن معظم المدن الأمريكية الكبيرة وكثيرا من المناطق الريفية تضم هذه الجماعات المحلية التى تتميز بطابعها البشرى أو الثقافى ، ومن أمثلة ذلك تلك المستعمرات التى تتألف من الكنديين الفرنسيين الذين يعيشون فى أحياء منعزلة فى مدن ولاية نيوانجلند ، وكذلك الشأن بالنسبة للبولنديين الذين هاجروا إلى أمريكا والذين قد يبلغون ما ينوف على أربع ملايين ، منهم ½ مليون فى شيكاغو ، وما يقرب من ٣٠٠ ألف فى بتروبيت ، وحوالى ٢٠٠ ألف فى نيويورك ، هذه الجماعات تعيش فى تماسك ووحدة مع بعضها وفى عزلة ثقافية عن العناصر الأمريكية فظلوا محتفظين إلى حد كبير بذاتيهم الثقافية أكثر مما استطاعت بقية العناصر باستثناء المهاجرين الصينيين .

ولاشك أن هناك اختلافات فى مدى استعداد العناصر المهاجرة لتمثل النماذج الثقافية فى البيئات الاجتماعية التى تعيش أو تستقر فيها ، ولسنا هنا فى مجال الاسهاب عن عملية التمـــثيل الثقافى للمهاجرين المعروفة باسم Acculturation ، Cultural Assimilation فقد يخرجنا هذا عن نطاق دراستنا الديموجرافية إلى الدراسات الاتنوجرافية ، والاثنولوجية والانثروبولوجية ، وإنما يكفى أن نشير إلى بعض الاتجاهات العامة التى تمثل المراحل الاطرادية المتتابعة التى يمكن أن تمر بها العناصر وموقف السلطات الحاكمة إزاءها ففيما يتعلق بالهجرة إلى الولايات المتحدة مثلا كانت الحاجة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ماسة إلى استجلاب وترغيب الملايين من المهاجرين وخاصة عندما كانت حدودها آخذة فى الامتداد عبر القارة الأمريكية وعندما كانت هناك حاجة ملحة إلى قوة بشرية لاستغلال الموارد الأولية واستغلال أراضيها الشاسعة ، وكان اختلاف اللغة أو الدين أو السلالة أو الثقافة وغيرها من العوامل الاجتماعية المعوقة

للوحدة الاثنولوجية القومية ، لم يكن لها أهمية نسبية فى الحد من عدد العناصر المهاجرة طالما كانت هذه العناصر ضرورية للتنمية الاقتصادية والصناعية والعمرانية . ثم ما لبثت أن أملت هذه الضرورة ذاتها وضع حدود وقيود على الهجرة ويكفى أن نقابل بين المزايا الكثيرة التى تمتع بها المهاجرون ، وبين الأضرار التى ألمت بالمهاجرين الجدد بسبب تعيين معالم الحـــدود السياسية للولايات المتحدة وقيام مجتمع مستقر نسبيا فيما يلى عام ١٨٨٠ وأكثر من هذا يمكننا أن نشير إلى موقف التخوف من المهاجرين الأوربيين عقب الحرب العالمية الثانية من حيث اعتبارهم عنصراً مهدداً للانعاش الاقتصادى الأمريكى (١) .

وقد أكثرت الولايات المتحدة من القيود التى توقف تيار الهجرة إليها حتى ذهبت فى الأيام الأخيرة إلى تحديد نسبة مئوية من عدد الأجانب الذين يسمح لهم فى نطاقها بالإقامة فيها ، وهذه النسبة تختلف من جنسية إلى أخرى فجعلت أعلى النسب للجنس النوردى من الانجليز الألمان ، وحاولت أن تقلل نسبة هجرة السلافيين واللاتينيين وأضعفت تيار مهاجرة العرب والساميين .

وإذا أردنا أن نتتبع الآثار الثقافية لهجرة بعض العناصر الغربية الأجنبية إلى البلاد العربية ، فإننا نجد أن هذا الأثر يختلف باختلاف كل ركن من أركان العالم العربى ، ففى بعض القطاعات العربية لم يكن لتلك العناصر الغربية آثار بعيدة المدى فى الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية كما كان شأن الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها الشمالى والجنوبى ، وفى بعض القطاعات تركت هذه الهجرة آثاراً إيجابية أثرت فى الأوضاع السياسية والثقافية لتلك البيئات على نحو ما نلمسه فى تونس والجزائر ، ومهما يكن من شأن هذا الأثر ، فإننا نلاحظ بوجه عام أن هذا الأثر يقوى ويشتد كلما كانت الدولة فى حالة تبعية سياسية ، ويبدو هـــذا واضحاً

(1)M.R. Davide, The Refugee Immigrant in the U. S. N. Y. 1946.

فى مقارننا للوضع الحالى بالجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لوضعها السابق قبل ثورة التحرير التى استكملت مقومات الاستقلال لذلك القطاع من العالم العربى .

ففيما يتعلق بالقطاع المصرى نلاحظ أن استيطان الأجناس الأجنبية فيه قد أدى أول الأمر إلى نوع من الاختلاط والتضارب فى الثقافات ، فإذا نحن استبعدنا ما كان عليه التعليم الأزهرى والأولى ، وجدنا أن هناك صراعا بين التعليم الابتدائى والثانوى العام ، وبين التعليم الغربى ، بل إن التعليم الغربى كان منقسما على نفسه ، فكان هناك تنافس بين الثقافة الفرنسية فى أقليم مصر مثلا والثقافة الإنجلو أمريكية . وكانت تتمثل الثقافة الفرنسية فى خريجى المدارس والمعاهد السويسرية والفرنسية المنتشرة فى الأقليم ، وفى أعضاء البعثات الذين أرسلوا إلى فرنسا .

كما كانت تتمثل الثقافة الإنجلو أمريكية فى خريجى الجامعة الأمريكية بالقاهرة وكلية أسيوط . وغيرها من المدارس والكليات للبنين والبنات ، وبين كليات جامعة القاهرة كان ما يتجه إلى إحدى هاتين الثقافتين دون الأخرى ، فالطب والهندسة كانت تميل إلى الثقافة الإنجليزية ، فى حين أن الحقوق كانت تميل إلى الثقافة الفرنسية .

ومما هو جدير بالذكر أن مناهج الجاليات الأجنبية كانت تختلف إلى حد ما عن مناهج التعليم بالمدارس المصرية العامة ، وكانت إلى عهد قريب تعنى أولا وقبل كل شىء بثقافة البلاد التى تنتمى إليها ، وكان لهذا أثره ولاشك على الطلبة المصريين العرب الذين يقدر لهم الالتحاق بهذه المدارس ، وكانوا يمثلون إلى حد كبير طبقة منفصلة عن مثيلاتها من طبقات الشعب الذين ربوا تربية وطنية قومية ، ولكن بالرغم من ذلك لا يمكننا الجزم بأن أثر هذه الثقافات قد تعدى حدود القومية ، أو أثر على النزعة الوطنية . وربما يرجع ذلك إلى أصالة النزعة الوطنية فى العنصر المصرى العربى ، وقد تنبه أولو الأمر

إلى أن اختلاف الثقافات قد يؤدى إلى اختلاف الميول والنزعات ، وتباين التعاطف الوجدانى ، فقد لوحظ أن بعض المصريين كانوا يميلون إلى الثقافة الفرنسية والأدب الفرنسى ، ويتشبهون فى حياتهم وعاداتهم بالسائد عند الفرنسيين ، ومنهم من يظاهر الثقافة الإنجلو أمريكية ، والأدب الأنجليزى.

هذا فى حين أن الغالبية العظمى من الشعب لا تستسيغ إلا ماهو شرقى عربى ، بالرغم من تأثر الذوق العام إلى حد ما بالعناصر الأجنبية ، سيما فى الموسيقى وفى الملابس ، وفى فن العمارة والهندسة .

كذلك قد تؤثر الثقافات الغربية فى مواقفنا إزاء بعض المشكلات القومية المحلية ، ومن تلك المشكلات العائلية .. والنفور من الطلاق وتحديده ، والمرأة وإباحة الفرص المتكافئة لها للعمل ، والتعليم المختلط بين البنين والبنات . وحقوق المرأة السياسية ، فقد ساير الإقليم المصرى فى كثير من هذه الموضوعات المجتمعات الغربية ، على أن ذلك ليس من شأنه أن يفقد المجتمع المصرى مشخصاته الذاتية ، إذ أن هذه المسايرة لاتعدو أن تكون خضوعا ومجاراة لسنة التطور ، مع الإفادة بفرص اختلاط الثقافات ، واحتكاك الحضارات .

والواقع أن ما نلمسه الآن فى عهد الانتقال ليس إلا صراعا بين الرجعية المتنكسة والمتمسكة بأهداب القديم دون فهم أو مرونة كافية لتقبل التيارات الاجتماعية الجديدة ، وبين الطليعة التقدمية التى تحاول أن تصل الماضى بالحاضر ، وأن تجعل من الثقافات المتضاربة والمتعارضة وحدة متفاعلة منصهرة مع الأنماط الثقافية الأصلية .

وقد أدى الاعتداء الثلاثى الغاشم على القطاع المصرى من دول انجلترا وفرنسا وإسرائيل فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ إلى تمصير وتعريب التعليم الأجنبى فى أقليم مصر ، وإشراف وزارة التربية والتعليم على جميع المدارس الأجنبية ، ونجحت بعض مؤسسات التعليم القومية الحرة فى سد الفراغ الذى كان يعانى

منه قطاع التعليم العام وتهيأت السياسة التعليمية الديموقراطية التى تقضى على الفوارق الثقافية النوعية .

وبذلك تجنبت البلاد رواسب الثقافات الاستعمارية المعرضة والتعصبية والمتحيزة لأنماطها الأصلية المستوردة .

ومن ناحية أخرى يمكننا أن نتبع أثر هجرة القبائل العربية من الناحية الثقافية فى نشر اللغة العربية فتزوح السلالات العربية ، من مواطنها الأصلية فى الجزيرة العربية إلى أجزاء الوطن العربى الكبير فى افريقية ، واختلاط تلك العناصر العربية بسكان تلك البلاد الأصليين ، كان له أثر واضح فى نقل الملامح العربية والسمات البدوية إلى السكان ، ويبدو ذلك بوضوح فى السودان حيث تأثرت قبيلة البجة بمن جاورها من عرب الكواهلة عن طريق النسب والمصاهرة ، وكذلك تأثرت العناصر الزنجية بالدماء العربية سواء كان ذلك فى السودان أو شرق إفريقيه . وبالمثل حدث مثل ذلك للبربر فى شمال إفريقية عندما اختلطت بهم القبائل العربية .

كذلك نقل هؤلاء المهاجرون العرب إلى تلك الأقطار الممتدة ، سواء كان ذلك فى القديم أو فى الحديث كثيرا مما حملوه من عاداتهم وتقاليدهم ومستويات ثقافتهم وأدوات حضارتهم ، وتم كل ذلك عن طريق الاختلاط والتصاهر والجوار . ولم يمض وقت طويل حتى امتزجت تلك السلالات العربيه بسكان البلاد النازحة إليها ، ولكن الامتزاج كان أفصح فى أماكن الاستقرار فى القرى والمدن وفى السهول الخصبة ، ولقد انطبع العرب أيضا بعد استقرارهم فى تلك الديار بعادات أهلها وتقاليدهم فى المأكل والمشرب وأدوات العمل ، وطرق الحياة المختلفة . بيد أن العرب الضاربين فى الصحراء ظلوا على بداوتهم - إلى حد كبير - يحتفظون بأنسابهم الأولى وتسيطر عليهم تقاليد الصحراء ، ويحكمهم قانون القبيلة ، وحرفتهم الرئيسية الرعى ، وإن كانوا يزاولون الزراعة أحيانا .

وعمل هؤلاء البدو المهاجرون على نشر اللغة العربية أينما حلوا ، وإن كان ذلك يتوقف إلى كبير على عددهم ، ومقدار مكثهم فى المواطن الجديدة ومدى استجابة تلك المواطن لما يحمله العرب من عناصر اللغة كما كانت تلك العناصر القوية عوامل فعالة فى نشر الدين الإسلامى، ومساعدة الجيوش العربية الزاحفة مع الفتح الإسلامى .

وكانت أهم القبائل أثرا فى حياة الأمة العربية ، وألمع ظهورا فى تاريخها تلك القبائل التى أتت مع الفتح الاسلامى للبلاد المختلفة ، وما كان لها من عظيم الأثر فى نشر لغة العرب فى تلك البلاد المفتوحة وصبغها بالصبغة العربية .

وكانت أهم الهجرات العربية هى هجرة قبائل البدو عقب وفاة الرسول (ﷺ) . ففي مدى عشرات من السنين حملت قبائل البادية فى غزوات الفتح لهجاتها إلى سائر أرجاء الوطن العربى . فلم تكد تمضى مائة عام على وفاته حتى امتدت الدولة إلى سفوح البرانس فى المغرب ، وإلى أواسط آسيا . وهذا النفوذ للغة العربية فى مناطق كانت تتوطنها لغات أخرى ، لم يكـــن ليمر عليها دون تأثير أو تغيير . ولقد احتفظت كثير من القبائل البدوية فى البلدان التى استولت عليها بطريقة حياتها الخاصة ، وحافظت بذلك على سلامة لهجتها وخلوصها ، ولهذا كان لايزال ممكننا فى أوائل العصر العباسى أن يجد المرء من جنوب البرتغال فى الغرب إلى خراسان فى الشرق قبائل عربية ، وأن يسمع من فمها عربية بدوية خالصة لاتشوبها عجمة .

وأستطيع أن أذكر فى إيجاز العوامل التى ساعدت على انتشار العربية ، فى البلاد الإسلامية ، فيما يأتى : —

(١) محافظة كثير من القبائل العربية فى مواطنها الجديدة على أسلوب حياتها الخاصة ، فحافظت بذلك على سلامة لغتها .

(٢) بعث عهد الفتح روحا من القوة فى صميم العربية ، وعمل على توحيد لهجات البدويين أنفسهم .

(٣) السياسة الاجتماعية التى وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ، عملت على توحيد اللغة ، وإنشاء لسان مشترك بين قبائل البدو ، كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال ، فلكى يحفظ عمر العرب من التلاشى فى الجماهير المغلوبة ، والتى تفوقهم عددا ، حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع فى الأقاليم الجديدة كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة فى البلاد المفتوحة ، ما عدا سورية التى كانت قد استعربت إلى حد كبير قبل الإسلام بواسطة القبائل العربية التى هاجرت إليها ، فأسكنهم فى معسكرات من الخيام كانت نواة المدن التى نشأت فيما بعد ، كالبصرة ، والكوفة والفسطاط .

(٤) استعراب واسلام الطوائف التى دخلت من العبيد والخدم والتجار والصناع . . . إلخ ، والجماعات التى وقعت فى الأسر أثناء الفتح دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم ، هؤلاء وأولئك وجدوا أنفسهم فجأة متغلغلين فى جو لغة عربية ، فاضطروا إلى استعمال لسان السادة ولهجتهم . هذا ولم تكن هناك لغة واحدة من التى لقيها العرب فى عهد الفتح ، محتفظة بنظام تصريفها ، كل ذلك أدى إلى ضرورة التفاهم مع العرب باستعمال لغتهم ، ومن هنا بدأ كثير من اللحن يدخل فى العربية ، ولكن بالتدريج نشأت لغة مولدة فيها بعض الخلط ، وبذا أخذت اللهجات فى الظهور ، والاختلاف باختلاف الأقطار المفتوحة .

(٥) وفى الثلث الأخير من القرن الهجرى الأول قد أخذ نحو العربية المولدة حدا لم تتوقف فيه الأخطار اللغوية عن الظهور حتى فى الدوائر الأولى فى المجتمع العربى . لذلك قامت حركة ضد فساد اللغة ، ونشأ مبدأ تنقية اللغة العربية الذى حمل راية المحافظة على خلوص اللغة .

(٦) ويرهن الأمويون على أنهم حماة المبادىء العربية ، بالتزامهم أصول اللغة فى سائر شئونهم ، وخاصة عبد الملك ابن مروان ، الذى كان يحذر أبناءه من اللحن ، ولم يستعمل هو صيغا ملحونة حتى فى المزاح .

وكذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز .

(٧) ظهور طبقة الموالى وطموحهم إلى محاكاة الطبقة صاحبة السيادة فيما تفعل ، فاحتضنوا أيضا مبدأ تنقية اللغة .

(٨) صارت لغة القرآن فى شعور كل مسلم ـ أيا كانت لغته الأصلية ـ جزءا لا ينفصل من حقيقة الإسلام .

(٩) ولقد تم تعريب سورية عن طريق العربية التى هاجرت إليها قبل الفتح الإسلامى . أما فى مصر فقد رجحت لغة العربية فى القرن الثالث ، على حين تراجعت القبطية إلى سهول الريف حتى تلاشت فى القرن السادس الهجرى تماماً [1]. أما ليبيا فقد تم تعريبها على يد قبائل بنى سليم ، وبنى هلال فى أواسط القرن الخامس الهجرى .

ولم يقتصر أثر الهجرة العربية على مجموعة الوحدات التى تمثل اليوم أركان العالم العربى الذى يمتد من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى ، وإنما تعدى هذا الأثر إلى التغلغل الثقافى والاثنوجرافى فى شعوب أفريقيا التى تمثلها الآن القوميات المتبلورة فى نيجريا وغانا والكمرون وساحل العاج فإذا إستعرضنا التطور التاريخى للأمبراطوريات التى نشأت فى غربى أفريقيا وجدنا أن هناك رابطة قوية بين اتجاه الحضارة فى تلك الجماعات وبين حضارة ومدنية العرب ، ويوضح ذلك المتتبع لانتشار العقيدة الإسلامية فى أربع دول : أمبراطورية غانة ، وأمبراطورية غينيا ، وأمبراطورية سنغاى ، ومملكة بورنو من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ولا زالت العقيدة الإسلامية وموجودة فى تلك البقاع بل أن نسبة عدد المسلمين إلى الوثنيين فى بعض الجهات تمثل الغالبية العظمى من السكان على نحو ما توضحه الإحصائية التالية رقم (١) .

---

(١) العربية ، دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب. تأليف يوهان فك « Johann Fück » ونقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار . القاهرة سنة ١٩٥١ . (ص ٢٢) .

إحصائية رقم (١)

توضح عدد السكان وعدد المسلمين وعدد الوثنيين ونسبة المسلمين إلى عدد السكان .

الإقليم	مجموع السكان	عدد المسلمين	عدد الوثنيين	المسلمين ٪
موريتانيا	٠,٥١٨,٠٠٠	٠,٥٠٠,٠٠٠	٠,٠١٨,٠٠٠	٪ ٩٩
السودان الفرنسي	٤,٤٦٩,٩٠٠	٣,٢٠٠,٠٠٠	١,٢٦٩,٩٠٠	٪ ٧٥
تشاد	٢,٥٠٠,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠	٪ ٦٥
منطقة النيجر العسكرية	٢,٠٢٩,٠٠٠	١,٨٠٠,٠٠٠	٠,٢٢٩,٠٠٠	٪ ٨٥
السنغال	٢,١٠٨,٢٠٠	٠,٧٥٠,٠٠٥	١,٣٥٨,١٩٥	٪ ٨٠

L' Islam Dans L'A. O. F., Paris, 1952

ومن الطبيعى أن يتبع إنتشار الإسلام ، انتشار اللغة العربية أو بعض مفرداتها ، وتظهرنا الإحصائيتان رقم (٢) ، (٣) على مدى تغلغل اللغة العربية قبل الاستعمار وبعده فى تلك الجهات هذا فضلا عن الأثر الاثنولوجى الذى توضحه الإحصائية رقم (٤) فى تركيب سكان بعض المناطق الأفريقية .

إحصائية رقم (٢)

توضح نسبة الألفاظ العربية المستعملة فى أوجه الحياة المختلفة قبل الاستعمار مباشرة .

	الدين	القضاء	التعليم	النشر	المعاملات
الرقم النسبى لمجموع ألفاظ اللغة .	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
عدد ألفاظ اللغة العربية نسبيا .	٩٠	٨٥	٧٤	٦٩	٦٥

L' Islam noir, Paris. 1924.

إحصائية رقم (٣)

توضح نسبة الألفاظ العربية المستعملة فى أوجه الحياة والألفاظ الأوربية بعد الاستعمار .

	الدين	القضاء	التعليم	النشر	المعاملات
الرقم النسبى لمجموع ألفاظ اللغة .	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
عدد الألفاظ العربية نسبيا .	٨٠	٢٠	٥٠	٥٠	٦٢
عدد الألفاظ الأوربية نسبيا .	١٥	٨٠	٥٠	٥٠	١٠

L'Islam Noir, Paris, 1924.

إحصائية رقم (٤)

توضح عدد السكان الأصليين وعدد السكان العرب وعدد المستوطنين الأوربيين .

الإقليم	مجموع السكان	السكان الأصليون	السكان العرب	السكان الأوربيون
موريتانيا	٠,٥١٨,٠٠٠	,٤٣٠,٠٠٠	٠,٠٨٠,٠٠٠	٠,٠٠٨,٩٠٠
السودان الفرنسى	٤,٤٦٩,٩٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	٠,٤٥٠,٠٠٠	٠,٠١٩,٠٠٠
تشاد	٢,٥٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٥٠٠	,٤٣٠,٠٠٠	٠,٠٦٩,٥٠٠
منطقة النيجر العسكرية	٢,٠٢٩,٠٠٠	١,٥٠٠,١٠٠	,٤٩٠,٠٠٠	٠,٠٤٠,٠٠٠
السنغال	٢,١٠٨,٢٠٠	٢,١٠٨,٢٠٠	٠,١٠٠,٠٠٠	٠,٠٠٨,٠٠٠
المجموع	١١,٦٢٥,١٠٠	٩,٥٣٨,٨٠٠	١,٥٥٠,٠٠٠	٠,١٤٤,٥٠٠

L. Islam Dans L,. A. O. F. Paris, 1922.

ومن نافلة القول أن نقرر أن أثر الهجرة العربية إلى تلك المجتمعات قد قصر على انتشار الديانة الإسلامية واللغة العربية وإقامة جماعات اثنولوجية مستعربة ، وإنما امتد هذا الأثر إلى فن العمارة . فإن مدن تمبكتو ودكار وآبيدجان تظهر وكأنها مدن عربية فى آثارها وقصورها وأسواقها ودور العلم بها والمظاهر الاتنوجرافية التى تنعكس فى أدوات الصيد ووسائل النقل أدوات ووسائل عربية منها السهم والقوس للصيد والسيف والدرع فى الحرب والجمال للانتقال ، وبقية المظاهر الثقافية المادية الأخرى ، مما لا يجعل مجالا للشك فى أن الهجرة العربية تعتبر أهم العوامل الديموجرافية أثراً فى النواحى الثقافية لتلك المنطقة ، ومن ثم فإنه يحق للدارسين العرب النظر إليها فى ضوء هـذه الحقائق الاثنولوجية والديموجرافية والحضارية[1] .

ونظراً لأننا نعلق أهمية خاصة لآثار الهجرة العربية إلى القارة الأفريقية ، باعتبار أن هذه المسألة تبرز ناحية هامة من النواحى التى تقرب إلى الأذهان الوحدة الإثنولوجية للأمة العربية ، فقد آثرنا أن نخصص الفصل التالى لعلاج هذه الظاهرة الديموجرافيه الهامة .

---

(١) لاستيفاء هذا الموضوع الحيوى ننصح بالاستزادة من المراجع الآتية :

الدكتور حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما بلى الصحراء الكبرى وشرق القارة الأفريقية وغربها القاهرة ١٩٥٧ .

عزة النصر : محاضرات فى جغرافية المغرب العربى ، معهد الدراسات العربية .

Couilly, L'Islam dans L' A. O. F., Paris 1952.

Gurther, I, Inside Africa, 1956.

Marty, P., Etudes sur L'Islam et les Tribus du Soudan.